تقول الريح: الغُبار أسئلة

رحاب عثمان شنيب

تقول الريح: الغُبار أسئلة

مجموعة قصصية

دار البيان للنشر والتوزيع والاعلان
البيان
978 9959 37

تقول الريح: الغُبار أسئلة

مجموعة قصصية

رحاب عثمان شنيب

لوحة الغلاف للفنان عصام الصابري

- الطبعة الأولى: 2019/11 م
- رقم الإيداع المحلي: 733 /2019دار الكتب الوطنية بنغازي
- الرقم الدولي الموحد: ردمك ISBN 978-9959-37-106-5
الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب بنغازي – ليبيا

- جميع حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للناشر:

دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان
بنغازي - ليبيا
هاتف 061.2232104 – محمول 091.2090770

إلى منقبي الأرواح
وصائدي اللحظات
كُتّاب القصة القصيرة

بينما ننتظر أن نحيا تمر الحياة

سينيكا

الشجرة العتيقة

(الشجرة العتيقة هي نحن ونحن هم الشجرة العتيقة) دائما ما كان يردد الحاج موسى العطار هذه العبارة، حينما يذكر أهل الحي عبارتهم المعتادة (الشجرة العتيقة تشبه علامة المرسيدس) متفاخرين بأنها رمز حيهم وأنهم أقوياء ومترابطون مثل فخامة الصناعة الألمانية، هذه العبارة اختفت تدريجيا مثلما تغيرت ملامح المكان قرب الشجرة التي ظلت صامدة إلى هذا الوقت على الرغم من كل التغيرات التي طرأت، ففي حين كان المارة يروون ظمأهم من جِرار الماء التي يضعها الحاج علي أمام الدكان حيث يعرض المواد الغذائية والخردوات، هم الآن يشترونها من السوبر ماركت الكبير الذي حل مكان الدكان والبيت المجاور له.

ـ الشجرة العتيقة تتحدث، قالها أحد الأطفال وهو يسترق السمع إلى جذعها الكبير، احتضنه ثم أردف قائلا: إنها تغني ـ

صوت عصافير الزرزور الذي كان يستمع إليه غالبية أهل الحي خفتَ كثيرا، بسبب ضجيج السيارات وأصوات مسجلاتها التي يهوى أصحابها تركيب مكبرات، وازدحام المكان بسبب المستشفى الخاص الذي بني منذ عدة سنوات، يتداخل معها صوت الطَرقِ على أنابيب الغاز والصياح بصوت عال بلامبالاة، كلَ هذا لم يوقظ خالداً، بل كان شجار أخويه قد قفز إلى طبلة أذنه كقطار فقد مكابحه .

أبعد الغطاء وهو يتقلب يمينا وشمالا، حرك قدميه فخرجتا مثل صغار قطط تتلصص من مخبأها، دفع بإحداهما جسمًا ما، انتفض وهو يسمع وقع ارتطامه، وما هي إلا قنينة ماءٍ شربها ليلة البارحة، فرك عينيه، حدق في الجدار، سحب هاتفه النقال، أحس كدبة النمل تسري على فخذه، رمى الهاتف وهو يجاهد مسرعا لإدخال يده في السروال وحكه، لامس قضيبه ومسح ما بين فخذيه، شعر بارتخاء جسده، تنهد ثم عادت صولات الأدرينالين تضخ في دمه، وقد التصق

خده بالجدار حاشرًا يده بينه وبين السرير، باحثا عن هاتفه الذي وقع، وقد أضجره شجار أخويه المعتاد، ففضل البقاء قليلا في فراشه، ممسكا الهاتف، متصفحا الفيس بوك.

في البداية توغل في قراءة الأخبار حتى تورم قلبه، وقع في مصيدة إحدى الصفحات التي تحارب الفساد، دبت رعشة في جسده، شعر بضيق في التنفس، فقفز حاجزا من الصمت حتى سقط في مجموعة نكات محاولا الضحك بعيدا عن الكذب، الفساد وصراخ أخويه، عرج على بعض صور الفتيات اللواتي كان صديقه يوسف يتفنن في اختيارها، فكتب له:

ارحمنا يا يوسف، كرهتنا في حياتنا ونحن مقبورون في هذه القطعة الملعونة من الأرض

رد يوسف:

في الجنة إن شاء الله يا صديقي

ولكنه سخر من ثقة صديقه لدخول الجنة، كاتبا:

هل أنت واثق من دخول الجنة؟

فرد مرة أخرى:

إذا استصعب الأمر سأفجر حزاما ناسفا وسط الكفار

استسلم خالد لضحكته الطويلة المعتادة كاتبا:

هاهاهاها هل هذا الحزام الناسف رغبة في الجنة أم غيرة وحسدا ؟

علا صوت شجار أخويه، لحقه صراخ والدته وأخته منال بعد أن تضاربا بالأيدي، حاولت الأم فكاكهما، لكنهما لم يباليا بها، بينما ركنت منال في إحدى زوايا الصالة مثل مزهرية دون ذراعين، شد فرج قبضة يده على رقبة سالم وهو يتهمه بأخذ أقراص الترامادول من دولابه، بينما وتيرة العصبية التي كانت تؤجج سالم هفتت وخارت قواه وهو يردد بلسان ثقيل وصوت يشوبه التبلد:

مش أنا .. مش أنا.

شعر فرج بلطم أمواج على وجهه، ازدادت الأمواج علوا، ظلّ يصارعها، كشر الماء عن أنيابه، رأى البحر مثل فم الغول، سحب يده التي كانت في قبضة يد أمه، ركل الكرسي وخرج موصداً خلفه الباب بصوت عالٍ،

في حين جر سالم جسده الهزيل نحو غرفته.

ـ تتحدث الجدات عن الطفل الذي اختفى في الشجرة، يقلنَ: إن الجميع ظلوا يبحثون عنه حتى آخر الليل وأن الأطفال قد أصروا أنه داخل الشجرة وحين استرقوا السمع إلى جذعها، سمعوا أصواتا تغني، تقول الجدات إن أمه تحولت إلى ريح ـ

أصبح الأمر لا يطاق، هذا البيت مثل حلبة مصارعة؛ قالها خالد بعد أن وقف ذاهبا إلى الحمام، رش الماء على وجهه وتوجه بصره إلى المرآة برهة، نظر إلى نفسه نظرة استعطاف ورثاء لحاله التي زجت به للعيش مع هذين الأخوين، نزلت دمعة على خد أمه وهي ترفع الأغراض المتساقطة على الأرض، كانت منال مشحونة بهذا العراء الخريفي، ضربت رجلها في الأرض، تمتمت بصوت متكهرب، شدت بكرج القهوة من يد أمها وقد أشاحت بنظرها بعيدا عنها، وثمة صوتٌ في داخلها يردد:

ـ الحياة محض افتراء ـ

قالت للصوت بانفعال وتوتر: دائما تكرر جملتك المعتادة، ظلّ يضحك بينما كان يحتشد في داخلها مثل

نقر بيتهوفيني على خلاياها العصبية، كانت السيمفونية الخامسة تهز جسدها بحركاتها الأربعة، تتشابك فيها الآلات الموسيقية مثل مطرقة قدرية، ظلت منال تردد في داخلها، هكذا يدق القدر على الأبواب، هكذا يدق القدر على الأبواب، نظرت إلى أمها، تسلل إلى داخلها بعض الهدوء فقَلّتْ حركة انفعالاتها وتداخلت مع تنويعات الحركة الثانية البطيئة، أعادت نظرها إلى الأواني المحطمة، اهتزت وكأن أشباحا باغتتها، دُقتْ في الحركة الثالثة التشيلوهات والكونترابصات، فاشتعلت مثل فراشة ترقص للضوء.

الموسيقى عود أبدي، إنها فزاعة القلق، ترياق الجدب وانبعاث حين تضيء الروح، لم يترك الصوت منال في ذروة احتراقها، فعادت برعماً حالماً في ليلة ماطرة مع التحام الحركة الرابعة بالثالثة في إيقاع صاخب، وقد لملم بعض الحزن أطرافه مثل ليل شذبت الشمس بقاياه.

خرج خالد وقطرات الماء على وجهه تدغدغ قلبه، ألقى تحية الصباح وهو يمسح وجهه بالمنشفة وكمن يود أن يزيل شحوب تحية مررها منذ انزعاج، هذا الانزعاج الدائم والمتواصل من عدم الفهم،

من العجز، فأخواه فتوة الشارع، سالم يجلس أمام الباركينج العمومي المقابل للمستشفى ليأخذ الإتاوة، هذا ما يقوله خالد، أما هو فيقول: إنها نظير حراسة السيارات ويكرر خالد سؤاله المعتاد حراستها ممن؟ أما فرج فيمتلك أكشاكا لبيع الدخان علنا والمخدرات سرا، فرج رجل عريض البنية ذو شعر طويل مضفور، مرسوم على زنده الأيمن وشمٌ على هيئة مرساة أما زنده الأيسر قلب مغروس فيه سهم وتحته مكتوب اسم «هنية»، قالت الأم لخالد: أنت تعرف أن أخاك لم يكن بهذا السوء وتنهدت، قال خالد بعد أن رفع الكرسي المقلوب وجلس، بينما أخذت منال المكنسة واللمامة لجمع الزجاج المكسور، وقد وضعت بكرج القهوة على النار: وما جدوى ذلك يا أمي؟.

ـ تقول الشجرة العتيقة: الفرد شراع، الكل مرساة، والشواطئ أفواه ـ

كان فرج بحارا يقضي طيلة وقته بين البحر والبنكينة، محبا للمغامرة، عاش يعد الطعوم ويهوى الاصطياد، ينتظره الجميع محملا بسلال الأسماك، يوزع السمك، ينظفه ويطهوه، حالما بأن يجد خاتم سليمان في بطن سمكة، مشاكسا الجميع بقوله: سأمتلك العالم ذات

يوم، هذا العالم الذي أظهر شراسته له على حين غرة.

الريس فرج الفتى القوي الذي استحوذ على أحلام فتيات الحي، والذي يطل تارة على حصان أبيض وتارة يظهر قبطانا فاردا يديه وفي حضنه حبيبته فاردة يديها أيضا مثل أبطال فيلم التيتانيك في مخيلتهن.

هؤلاء الفتيات كنّ يتسابقن لأجل ود العمة فاطمة فلم يخلُ بيتها من أطباق الحلويات، كنّ دائما على أهبة الود لأجل مساعدتها في غسل السجاد أو غيرها من الأعمال المنزلية المُجْهِدة، كما لا يخلو الأمر من إسقاط قميص من حبل الغسيل أثناء وقوف فرج عند عتبة بيتهم، محاولة من إحدى المغرمات الحصول على نظرة من طرف عينيه تشبع بعضا من شوقها وتطمئن قلبها، أو البحث عن سبب للخروج وقت تواجده كالذهاب إلى الخياط أو المطحنة أو زيارة أحد الجيران، ويجب أن لا تفوّت الفرصة بإلقاء السلام والسؤال عن العمة فاطمة و«الأمورة الصغيرة» منال.

في مساء يوم صيفي، كان الأطفال يلعبون صياد السمك وكانت رائحة القهوة والبخور تحضنان الشوارع وتزرعان في الأنفاس دفئا وودا، والرجال يجلسون عند

عتبة محل العطار يلعبون «السيزة» في انتظار «طاسة الشاهي بالنعناع» من يد العطار الحاج موسى، نساء الحي يتوافدن واحدة تلو الأخرى إلى بيت العمة فاطمة التي جهزت «العدالة» ووضعت الكاكاوية[1] في الطاجين لتحميصها، بينما تسابقت الفتيات لإعداد القهوة، حضر فرج ورفيق رحلاته الريس عادل فالتف أطفال الحي حولهما في انتظار أن يوزعا حلوى السمسم كالمعتاد وكانت فرحة الأطفال أكبر حين وزع فرج الفروتة[2]، احتضن أخته منال وقبلها، صافح خالد بقوة ثم ذهب مسرعا إلى والده ليخبره بأن عادل ووالده وافقوا على خطبة هنية.

أعدت منال القهوة وهي تستمع إلى أمها تتحدث عن زمن مضى تتحسر عليه وتندب حظها، ظلّ خالد صامتا فهو دائما ما كان يحاول أن يواسيها لكنه في بعض الأحيان يفقد السيطرة على غضبه؛ شاتما البيت بأهله والقدر الذي رماه هنا، في هذه اللحظة بالذات عادت به أمه إلى ذكريات حنونة ضمته بقوة ووهبته بعضا من الشعور العذب .

1- الفول السوداني

2- تطلق على علبة عصير شركة المعمورة الليبية فترة الثمانينات

كانت دهشة الأطفال بريئة تشبه ذوبان الآيس كريم، فعلتْ أصواتهم حين خرجت إحدى الطفلات وفي يدها طاسة شاهي وكاكاوية، مرددين: شاهي وكاكاوية .. فرج خطب هنية .. شاهي وكاكاوية .. فرج خطب هنية، وصلت الأصوات إلى البيت فزغردت العمة فاطمة واحمرت وجنتا هنية خجلا، ولكن بعض القلوب انسحبت في هدوء وهي تلملم بعض قطعها المتناثرة.

ـ تقول الريح: الحب لقاح والماء احتمالات ـ

هنية أخت عادل صديق فرج، توفيت والدتهما باكرا فكانت هي الأم التي احتوت إخوتها السبعة بكل تفان، وكان عادل أخاها الأكبر سندها وعونها في حين تزوج والدهما وانشغل عن أبنائه غير مبالٍ بتصرفات زوجته التي سكنت الطابق العلوي من البيت، فلم تستطع هنية دخول المدرسة كقريناتها، فحاولت أن تحلم بالفرح وهي التي وجدت نفسها مسؤولة عن بيت بسبعة رجال وزوجة أب شحذت حدة الألم والمعاناة لأجلهم، فهي لم تعرفه، لم تلمسه من قبل، كانت تحاول أن تتعرف على هيئته، لذا تعلمت الكروشيه، كانت تلف بالسلك حلقة حول صنارة الإبرة، ثم تسحب حلقة أخرى، حلقة تتبعها حلقة، شكلت سلسلة، تخيلتها تلتف

حولها، ارتعشت أصابعها، دفعت الخوف بداخلها، لفت السلسلة وربطت حلقاتها، حولتها إلى ورود، فراشات وحمامات، حاكت المفارش وأصبحت طريقها للتنفس واشتهرت في الحي بحياكة المفارش.

يتذكر خالد هذا اليوم جيدا، ففي حين علت الزغاريد وعمت الفرحة في الحي والبيت، انتبه أن أخاه سالم ظلّ صامتا طيلة الوقت وكأن عينيه فارغتان مثل نوافذ بيت مهجور، مثل أقفاص بلا عصافير يرقص الصمت في خوائها، وتذكر أن أخاه غاب فترة طويلة وعاد متأخرا ونام في الحال، ثم انتقلت به ذكراه إلى لحظات قاسية مرت بالعائلة، وانتبه إلى أمه قائلة:

- وحدة منهن يا عين يا سحر اللي صارلنا مش بلاش.

أما منال التي كانت صغيرة جدا فأمها أنجبتها بعد مساقة زمنية من إخوتها لأن ضنوها[1] عزيز، لم تتذكر كثيرا من اللحظات ولكن الأمر الوحيد الذي تدركه

1- يقصد إنجابها وضنوها عزيز تعني النساء اللواتي لا تنجب سوى مرات قليلة لأسباب غير معروفة وبالتأكيد لسبب طبي لم يشخص في سنوات سابقة.

أنه ليس أمها وحدها ضنوها عزيز بل الحياة أيضا، عشقت منال الموسيقى، كانت تنتظر حصة الموسيقى في المدرسة بشغف، وجدت الصوت الراقص سلوانها وكانت المعلمة لطيفة جدا، تحاول كتم غيظها، كلما تلقت المضايقات بسبب استهزاء المعلمات الأخريات بمادة الموسيقى واستغلالهنّ حصص الموسيقى في إكمال المناهج التعليمية الأخرى، لكن هذه المعلمة اللطيفة وجدت شغفها في تعليم بعض الطالبات الشغوفات منهن منال، التي كانت فرحتها بالنقر على أصابع الأكورديون تشبه رقصة الفلامينكو وكأن أطرافها تطوع الحياة لجموحها وكأن يديها قصيدة نثر هربتا من قيد التفعيلة تحركهما في وقفة شموخ وتضرب برجليها الأرض في رقصة انسيابية توحي بالعنفوان، غير أن حلمها تلكأ حين أصبحت الأحداث مثل حناجر غير مرصوفة، مازالت تتذكر كيف شهقت خالتها حين وجدتها تحتضن الأكورديون، خالتها التي فاجأت ابنتها ذات يوم أخاها خالد حين وقعت يده في الهواء بعد امتناعها عن مصافحته، ظلت الخالة تسرد قائمة من المحرمات وأخبرت أختها أنها ستقلل زياراتها بسبب رزق ابنيها الحرام، على الرغم من محاولة الأم أن توضح لها أنها تعيش على راتب تقاعد

زوجها وعمل خالد بائعا في المحلات خلال عطلاته، وأنها بحاجة إلى وجودها الدائم بقربها، ولم تكن الخالة وحدها التي استهجنت العزف بل كثيرون من العائلة وقد حاولت منال أن لا تهتم لكنها فوجئت ذات يوم بهجوم فرج على الآلة وتحطيمها مستهزئا ورافضا أن تسبب له أخته الفضيحة بسبب العزف.

خرج خالد من البيت، وهو مشوش الأفكار، وقد فقد الرغبة في الذهاب إلى الجامعة، خالد يدرس في كلية الاجتماع، شدّ هذا العلم انتباهه حين قرأ في صغره كتاب مقدمة ابن خلدون من مكتبة جارهم العم أحمد، لقد سخِرَ فرج وسالم من هذا الاختيار وضغطوا نفسيا عليه، لكنه لم يعر لهما اهتماما، فقد أغرم بمعرفة خبايا المجتمع وأحوال الناس والفروق في طبائعهم وأثر البيئة فيهم .

مشى خالد بخطوات بطيئة واسترق النظر إلى بيت العم أحمد، كانت النوافذ مفتوحة والستائر ذات اللون الزهري تلاعبها الرياح حتى تصل إلى أصص النباتات التي تزين النافذة، نظرة واحدة ثم قفز ليغرق في صوت العصافير ورائحة القهوة التي يشتهر بها شارعهم، ثم حمل جسده وجلس تحت الشجرة العتيقة

وهو يراقب بعض الأطفال يركضون نحو الشجرة وهم ينادون بعضهم: تعالوا هنا، الشجرة العتيقة مخبأنا، ثم أسرعوا لتسلقها محاولين الاختباء .

ـ تقول الشجرة العتيقة : أصابعك عصافير ويدك خواء ـ

ارتفع ضغط العمة فاطمة بعد شجار هذا الصباح فأعطتها منال الدواء وطبخت لها البردوقش وجلستا في غرفة نومها للحديث والترويح عن الخاطر الذي تحول عند العمة إلى طريق مزدحم بالمطبات، تحاول أن تجتازها وهي تقود ذكرياتها على مهل، ودائما ما تسترجعها وقلبها مفطور، تذكرت كيف رجع فرج من رحلة بحرية، اشتدت فيها العاصفة، فلاطمتهم ورفيقه عادل الأمواج، كسرت مركبهم وغرق عادل، ثم أردفت قائلة مرة أخرى وكعادتها: «حسدوني الناس حسدوني علي وليدي» بالتأكيد واحدة من بنات الشارع «سحراته».

لم يحتمل أهل عادل غرق ابنهم وحملوا المسؤولية على فرج، فسخوا خطبته من هنية وزوجوها لابن عمهم ومنذ ذلك اليوم لم يستطع فرج ارتياد البحر،

وظلّ يجلس أمامه وقتا طويلا في انتظار أن يعود صديقه، وفقد فرج حلمه بالحصول على العالم، فلم يعد بإمكانه الاصطياد ولم يظفر بحبيبة قلبه، تحطمت روحه، واستسلم هذا الشاب مفتول العضلات للقدر ممضيا ليله في شرب الخمر ونهاره في الشجار متزعما عصابة تسيطر على الحي الذي يسكنونه .

يقلب خالد الأوراق التي بين يديه كما يقلب ذاكرته في آن واحد، تساقطت بعض الأوراق حين هز الأولاد الفروع، دفعها بيده وهو يدرس أسباب العلاقة المتأزمة التي آل إليها فرج وسالم، وهو موقن في قرارة نفسه أن سالم كان مولعا بهنية؛ لذا ظلّ نافرا من فرج حتى بعد كل هذه السنوات.

سالم الأخ الثاني الذي طغت وسامة فرج على حضوره، شاب طويل نحيف، ذو عينان صغيرتان أجدع الأنف كان هاويا لكرة القدم، حين غرق عادل وتدهورت حالة فرج، أصيب الأب بجلطة دماغية فاضطر سالم أن يتحمل مسؤولية البيت، ترك المدرسة وعمل «صبي ميكانيكي» تُوفي الأب وضاق الحال بالعائلة، وازدادت العلاقة سوءا بين فرج وسالم، الشيء الوحيد المشترك بينهما، أنهما كانا يرجعان كل ليلة مخمورينِ .

ـ تقول الريح: جناحان بصيران عطبُ القلب ـ

أثناء مرض الوالد، الأبلة حليمة؛ مدرسة اللغة العربية بالمدرسة وزوجها المحامي أحمد أخذا خالد ومنال فترة من الوقت، فقد كان بيتهم على مدى اليوم مزدحما بالأقارب، مع ازدياد حالة التوتر عند والدتهم فقررت جارتها وقريبتها مساندتها بالاهتمام بهم، دائما يتذكر خالد هذا البيت الدافئ الذي يهوى أصحابه الزهور واللوحات، فكل غرفة تتزين بمزهرية، حتى المطبخ توجد به واحدة، يتذكر خالد وبضحكة مثل رعشة زهرة هذه الأجواء العائلية التي بدأ يفتقدها، ويتذكر اللوحة المطرزة على حائط الصالة[1]، التي يحدها إطار خشبي وتجسد عائلة من المزارعين، أحد الأطفال واقفا في المنتصف يعزف الناي بينما ينشغل طفلان آخران بتدفئة نفسيهما، في منتصفهم طاولة توجد فوقها وبجانبها بعض أواني الطبخ، كانت الوجوه هادئة، ذات نظرات متزنة، جذبته هذه اللوحة، وكأنها تذكره بالهدوء الذي كان يجمع عائلته، كان يشغله علاقة الظل والضوء في اللوحة وكأنها انعكاسات لأرواحنا،

1- لوحة الفنان الفرنسي لوي لا نان

النظرة الصامتة للوجوه، التشابك الروحي في الجلسة، وفي الصالة على الحائط الآخر لوحة لامرأة شدته بابتسامتها العذبة، وكأن عينيها التهمتْه، ففيهما لغزا شهيا يثير الرغبة في طرح الأسئلة، ليست هذه المرة الأولى التي يرى فيها صورة امرأة، فقد كان دائما يتسلل إلى غرفة أخيه فرج ويشاهد الملصقات التي تملأ الحائط، بعضها صور للاعبي كرة قدم وبعضها صور نساء، كان يمرر يده عليهن بدهشة، يضغط على نهودهن المنتفخة والتي تنفر من الملابس مثل ثمار البرتقال، ويظل يتخيل لو أنه قطع كل هذه الأثداء وركلها واحدا تلو الآخر .

ـ تقول الشجرة العتيقة: الرغبة مفتاح والجسد نافذة ـ

حدثه العم أحمد عن الموناليزا وكيف أن الفنان الإيطالي ليوناردو دافينشي أثار الفنانين لأنه لم يرسمها من جهة واحدة؛ إذ استخدم التجسيم وهذا الذي وهبها طابعها السحري، فاللوحة تجعلك ترى أكثر من جانب، وفي هذا البيت تعلم خالد أن يرى أكثر من جانب، وأن الحياة لها وجوه عدة فعليك دائما أن تبحث عن الملامح التي تناسبك.

ـ تقول الريح: العين بئر والقلب سبيل ـ

انتبه خالد أن الأطفال يختفون في الشجرة، كان يسمع أصواتهم يضحكون ويغنون، ظلّ يدور حول الشجرة.

ـ تقول الشجرة العتيقة: حتى ترى الكون؛ انظر داخلك ـ

ظلّ خالد يدور في الشوارع، سأل عن الأطفال، كانوا في المدرسة، الحاج موسى يجلس على كرسي بدواليب أمام البيت وحيدا يراقب المارة، انتبه أن سيارة النقل أمام بيت العم أحمد، وقد كان العمال ينقلون الأغراض إلى السيارة، يخرجونها واحدة تلو الأخرى، الأثاث ..الثلاجة .. اللوحات، رفع عينيه نحو الشرفة فلم يشاهد الأصص، كانت خالية مثل ذهنه في هذه اللحظة.

ـ تقول الريح: الغبار أسئلة ـ

قررت عائلة العم أحمد الانتقال إلى حي سكني آخر، تاركين هذا الحي الشعبي الذي أصبح أكثر ضجيجا، يقول العم أحمد: لم أعد أستطيع الجلوس

في بيتي وأنا أستمع إلى الصراخ وكلام الشتائم البذيء أمام أبنائي، لم يعد هذا الحي كالسابق، سيغادرون وستغادر هند تاركة خلفها الكثير من الجلبة.

هند الطفلة ذات الخمس سنوات والتي كانت تملأ بيت العم أحمد فرحا وصخبا حين كان خالد في رعايتهم، كبرت وملأت قلبه بهذا الصخب، كان صوتها مثل قفزات الندى، حضورها مثل شراسة عطر باريسي، المرة الأولى الذي شعر فيها خالد باختناق مروري داخل جسده، حين فتحت باب البيت مرتدية فستانا زهريا كلون وجنتيها، تتدلى من عنقها قلادة على هيئة دب تصل إلى حد فستانها، تخيل الدب وهو يلثم العسل المسكوب على نهديها، كم كره هذا الدب؟، وكم حاول أن يتدلى في قلبها.

ـ تقول الشجرة العتيقة: الحب لا يراوغ، وحده القدر لجة العشاق ـ

لايزال العمال ينقلون الأغراض، ظلّ خالد هائما في الحي، يسمع الشجرة العتيقة تغني، ويسمع صوت عصافير الزرزور، اصطدم بطبلة أذنيه أصوات شجار، كان فرج عالقا مع تاجر مخدرات آخر يتصارعان

بالسكاكين ويتفاذفان الشتائم، حاول دفع الأصوات من رأسه.

ـ الشجرة العتيقة تغني ـ

تفحص خالد الشارع حيث غُرف الصفيح الملحقة بالبيوت إحداها حظيرة دجاج وأخرى مكدسة بالكراكيب، وفي نهاية الشارع مخزن لبقايا الخبز التي يجمعها العجوز خليفة ويبيعها لمربيي الخرفان، ثم لمح ابن الحاج موسى يرش الماء على الرصيف، جارهم سالم يسند أمه لتركب السيارة، جارتهم فاطمة تنشر الملابس على حبال الغسيل وكانت مفارش هنية بقلوبها وورودها تتدلى مع الريح وقد ظهر عليها لمحة زمن تناسل من القلوب، كانت منال توظب البيت وهي تستمع إلى فيروز، شطفت ردهة البيت، وقفت عند العتبة، ونظرت إلى الشارع بعينين حالمتين.

النظرة نفسها أزهرت في قلب خالد وهو يراقب الشجرة العتيقة وقد لمح التلاميذ يركضون نهاية اليوم الدراسي أحدهم تعثر فركض نحوه ساعده وحمل حقيبته الثقيلة .

ـ الشجرة العتيقة تتحدث، قالها أحد الأطفال وهو

يسترق السمع إلى جذعها الكبير، احتضنه ثم أردف قائلا: إنها تغني ـ

ـ تتحدث الجدات عن الطفل الذي اختفى في الشجرة، يقلْنَ: إن الجميع ظلوا يبحثون عنه حتى آخر الليل وأن الأطفال كانوا يصرون أنه داخل الشجرة وحين استرقوا السمع إلى جذعها، سمعوا أصواتا تغني، تقول الجدات إن أمه تحولت إلى ريح ـ

دوائر مغلقة

لم أتعلم كيفية مد الزلوف[1]، «الزلوف» مهمة صعبة جدا وعملية معقدة أيضا تحتاج إلى ممارسة وخفة، في بداية زواجي قررت كسر هذا القانون وأول أسباب هذا القرار الراديكالي هو عدم استساغتي لإعطاء النقود، كنت أرى في تقديم الهدية أكثر شياكة ولها انحيازها عن النمط المعتاد، أنا خريجة جامعية أعشق قراءة الكتب والروايات وأكتب الخواطر، حتى إنني كنت أكلف دائما بالإشراف على الصحيفة الحائطية في المدرسة الثانوية، وقد أصبحت أيضا قبلة العاشقات اللواتي يبحثنَ عن كلمات رشيقة ومليئة بالغرام، لذا تولد في داخلي شعور بالمسؤولية نحو هذا المجتمع، يلزمني أن أكون رائدة تغيير جذري تكسر حدود النمطية.

1- يقصد به في اللهجة الليبية النقود التي تقدم في مناسبات الأفراح والولادة وحتى عند عيادة المريض

رفضت التعامل مع الزلوف، لأنه طريقة جافة مثل غصون يابسة، رغبت بالمزيد من الود واللطافة، فصرت أقضي وقتا طويلا وأنا أخمن ماهي الهدية المناسبة؟، ووقتا أطول في شرائها، ووقتا آخرا حتى أغلفها، وبالنسبة إلى تغليفها كان يشكل عندي ذروة العمل الثوري وقمة الرومانسية، كنت أستخدم ورودا مصنوعة من الصوف أو الأقمشة اللماعة، حسب الغلاف، كنت أحتفظ بخردوات عديدة، بقايا «البونبينيرات»، كمان مصنوع من الجبس، باقة ورد صغيرة مصنوعة من الكريستال، بقايا الميداليات، حوتة أو قلب أو مفتاح صول، أجمع أكواز الصنوبر والأصداف،،ثم أغلف الهدية بشكل لائق.

في هذه البلاد؛ يصبح اللائق فكرة فانتازية، فلا شيء يليق بي، وهذا ما يشغلني دائما، فقد تعبت من الركض خلف ما يناسبني، البحث عن صديقات يَلِقْنَ بي، عن عمل يليق بي، عن زواج، عن هواية، عن أحلام تليق بي، أحاورني بضرورة تعديل مقاييسي، أو بالأحرى التحايل على ما هو غير ملائم، أفكر فيما يقوله بروتاغوراس:

- إن الإنسان مقياس كل شيء ما يوجد وما لا يوجد-

أحاول أن أجادل وضعي، فيحاول إقناعي أن الإنسان هنا؛ تسقط على الكل وليس على الفرد، ويردد في داخلي يجب أن أصبح مثل الكل، تهاجمني رغبتي في التغيير، لا يوجد صواب مناسب للكل، المناسب ما يخصك وحدك.

الحياة صَدفة، وأنا سلحفاة أختبئ كلما مدت مخالبها، ترى صديقتي أنني كائن شقي ولا مرئي، أغوص في تفاصيل غير مهمة، ولا تجلب إلا النكد، أخرج إلى الشارع بابتسامة مقيدة، أتذكر ما تقوله أختي وما يكرره زوجي: هناك حدود يجب التقيد بها، ألقي التحية على بائع الخضار الذي أمر من أمامه كل يوم، ثم أسحبها بأقصى سرعة، أعد خطواتي التي أرتبها بطريقة مثالية، حتى أصل إلى سيارتي، أتنفس الصعداء، أُجلس أبنائي في المقعد الخلفي، أتحدث مع السيارة قليلا، أسألها عن انزعاجها من الأكياس الملقاة بجانبها وأعقاب السجائر المكدسة في منفضتها، وأحدثها عن انزعاجي من الروتين، أنتظر زوجي يطرق زجاج النافذة، أبتسم، أفتحها وأردد حاضر عقب كل توصية، أحيي عمي سالم؛ الغفير بمقر العمل، تارةً يسألني عن إجراءات تتعلق بوظيفته،

فأقول له وأنا على عجل: الإجراءات بحاجة إلى بعض الوقت، وتارةً يسألني عن صحتي وصحة الأولاد، أبتسم وأشكره، ثم أسأله عن حاله، مما أضطر للتوقف قليلا، وغالبا ما تصدمني بعض غمزات الجالسين على عتبة الباب، فأقفز من واحدة إلى أخرى حتى يصيبني القلق والتذمر، أو أنتبه إلى أنني أسد الطريق على بعض المارين، أعتذر بخجل أحاول أن أمرره حتى لا يظهر استيائي من ردود فعل بعضهم بسبب وقوفي، أحيانا أشعر بأنني بق عليه دائما أن يهرب من الضوء، أخرج من بيتنا على عجل، أدخل إلى المكتب على عجل، يجب ألا ألتفت وألا أبتسم في الشارع، أحاول دائما أن أتجاوز هؤلاء المُوتِّرون، لكنهم مثل قرادة تمتص سكينتي، وها أنا أمر كل يوم المراحل نفسها دون أن أجد ما يليق بي.

اليوم أخذت نفسا عميقا، عدلت ابتسامتي، وألقيت التحية، سمعت ضحكة مجلجلة من السيدة عائشة ترافق رد التحية الذي ألقته جمعيهن، غالبا ما أشعر بأن السيدة عائشة جاهزة لالتقاط فريستها، جلست على المكتب، تنهدت وأنا أعد الملفات المكدسة أمامي، وبنصف نظرة بدأت حوارها معي، مبدية

إعجابها بطلاء أظافري، ثم أردفت قائلة وهي تحرك رأسها في كل الاتجاهات لتشرك الجميع في الحوار: كيف تصمد أظافرك أمام الأعمال المنزلية؟، كنت على وشك الانفجار

لماذا هذه المخلوقة الغريبة تحشر نفسها بين أظافري؟

قالت زميلتنا سعاد: إنها تستخدم القفازات، سعاد فتاة لطيفة وبسيطة جدا، من اللواتي حين تقابلهن؛ فتتساءل: هل كان الملل مختبئا في طين البشر؟ تشعر بأنها فكرة مسطحة، غاز خامل أو منطقة نائية، كنت أحاول أن أكبح غضبي المتراكم ولكنني انتفضت مثل موجة لاطمتها ضفة صخرية، صرخت:

أنا لا أستعمل القفازات

وأنا أنظر إلى سعاد موجهةً إليها الحديث:

من قال لك ذلك؟

ثم استدرت نحو عائشة وقلت بسخرية وصوت يشبه صوت الفنانة ماري منيب:

أنا لا أعمل في البيت، زوجي من يقوم بذلك، أرجو

ألا تتدخلي في أموري مرة أخرى

ثم جلست على الكرسي، بعد أن انتبهت أنني كنت قد وقفت مثل قطة تدافع بشراسة عن أبنائها، حاولت ألا أنظر حولي، سمعت ما يشبه عنعنة سيارة ضَعُفتْ بطاريتها، كانت سعاد مرتبكة جدا، بينما صاحبة الأسئلة البليدة تصرفت وكأن ما حدث مشهد مرّ على التلفزيون، لم أحتمل الوضع فأمسكت حقيبتي وخرجت متجهة إلى دورة المياه، غسلت وجهي وأعدت مكياجي، تناولت حبة دواء ثم تفحصت أظافري خشية أن أكون قد كسرتها وأنا أضرب على الطاولة، عدلت هندامي، جذبت نفسا عميقا واتجهت نحو المكتب، توقفت حين سمعت ضجة بداخله، استرقت السمع، كنّ جميعهن يبدين استغرابهن وانزعاجهن مما قلته.

لم أعد وجبة الغداء في الصباح الباكر، لذا ذهبت مسرعة إلى حضانة الأولاد، ثم إلى البيت، في بعض الأوقات أستيقظ ونفسي مسدودة غير قادرة على تحمل رائحة البصل واللحم، تراودني رغبة في أن أختلي برائحة القهوة، أعانقها وتمتزج أفكاري بها، رائحة البصل في الصباح تعذيب يومي، غازات سامة تُطلق ضد أمنياتي المتجمهرة في شوارعي، ولا مفر

من هذا السجن المؤبد، خرجت من العمل مسرعة إلى البيت قبل وصول زوجي، حتى أتجنب شجارا سيحدث بسبب التأخير في إعداد وجبة الغداء، كم ينهكني هذا الأمر، ولم أعد أطيقه.

أضع الطنجرة على النار وأضع الزيت، أقطع البصل على عجل، أرش الفلفل الأحمر وأقلّب بينما أراقب قطع البصل الصغيرة وهي تذبل كقلبي، وصوت في داخلي يردد:

أنت كئيبة، غبية، مترددة

وظلّ يرددها

- لقد بدأت أسمع أصواتا وفقدت قدرتي على التركيز[1] .

شعرت بربكة، فهذا الصوت لا يفارقني، كلمات فرجينيا وولف لا تفارقني، أبحث عن الجيوب، فلا أجد إلا فستانا هادئا يحاول أن يستلقي على الجسد براحة ودون ضجيج، لا توجد به أزرار ولا سحّاب، فستان يشبهني، لا يرهق المكواة ويمكن خلعه بسهولة.

1- مقطع من رسالة انتحار فرجينيا وولف

كنت قد أخرجت في الصباح الكرشة وكيس الفاصولياء من المبرد، فهي الوجبة التي أتركها لحالات الطوارئ، غسلت قطع الكرشة ووضعتها على البصل، رششت الملح، الحرارات والبزار وحركتها، كانت القطع تتقلب وأنا أتقلب، هل أنا مجبرة؟ ولِمَ أنا مجبرة؟ كيف استطعت السير في هذا الطريق المرسوم بدقة ؟ طحنت حبات الطماطم، بينما دخل ابني المطبخ، صرخت في وجهه مطالبة إياه الابتعاد عن موقد الطهو، سكبت الطماطم ووضعت الطماطم المعجون ثم أغلقت الطنجرة مثل كل الأسئلة التي أطرحها دائما .

خرجت مسرعة إلى غرفة المعيشة كي أرتب ما خلفه طفلاي من فوضى، صرخت في وجه ابني الكبير الذي يبلغ من العمر الخامسة موبخة إياه على كل هذه الألعاب المتبعثرة، صرت مثل خرطوم مياه اندفعت فيه المياه بقوة دون أن يقبض على طرفه المفتوح، وكان يقف أمامي عاجزا باكيا، لم أنتبه إلى غضبي، رفعت الألعاب وشطفت السجاد الذي سُكب عليه بعض الحليب من كوب طفلتي الصغيرة، ركضت نحو الحمام لشطفه، وخزني قلبي، ركضت إلى ابني مسرعة حضنته

وقبلته بسرعة، رجعت إلى الطبخة سكبت الفاصولياء ودققت الثوم، الكسبر وكمون الحوت، كنت أشعر وكأن يد المسحان تضرب رأسي، دقة وراء دقة وراء دقة، الصوت في داخلي يخبرني:

إن كل شيء مائع

ويشدني الصوت فأسقط في لوحة سلفادور دالي، التي وضعتها في الصالة بساعاتها الأربعة فركضت بينهن وقد دب فيّ الرعب، أرض جرداء وساعات في طور الذوبان، هذه اللوحة تجسد حياتي المقرفة التي أعيشها، شدني صوت طفليّ يضحكان على مشهد رسوم متحركة، تنهدت وذهبت لوضع قرن الفلفل الأخضر في الطبخة.

استلقيت على السرير راغبة في قسط من الراحة، تنحنح زوجي واقترب مني مقبلا إياي، طالبا مني كوب ماء، وضعت علبة الكريمة جانبا وذهبت لأجلب له الماء، لم يكتف بذلك بل فتح اسطوانته المعتادة، مناقشا ترك العمل بسبب الأولاد وبسبب عدم حاجتنا للمال، وضع رأسه على كتفي ولف يديه على خصري، كنت في أقصى مراحل القرف، لم أحتمل رائحته، فهل

للرائحة ارتباط باللائق ؟ هذا الزوج لا يليق بي.

كيف اتسعت الهوة بيننا؟، كيف تغيرنا؟

كنت أطرح سؤالا تلو الآخر وكانت رائحته تشبه الحرائق التي في داخلي، حاولت أن أبتعد عنه قليلا وقلت له: لا يضير الأولاد البقاء عدة ساعات في الحضانة، وكعادته يتقن تمرير رغباته دون أن يستمع إليّ، ضمني بقوة وظلّ يقبلني.

كنت قد خططت للخروج لشراء بعض الحاجيات والذهاب إلى الطبيب، لكن أختي التي رغبت أن أترك طفليّ عندها بعد اعتذار الحاضنة، كان لديها مناسبة اجتماعية، ويا ليتني لم أتصل بها؛ إذ اختطفت مني ساعة من الوقت، بل أكثر وهي تحدثني عن مشكلة ابنة عمي مع زوجها، أعرف جيدا أنها تحيل كلامها لنصحي مقنعة إياي أن المرأة ليس لها إلا زوجها، هذا الزوج الذي رفض خروجي بحجة الأولاد دون أن يفكر في البقاء معهم مرة واحدة.

الأيام تمضي مثل بعضها، روتين العمل اليومي مع الأعباء المنزلية إضافة إلى المناسبات الاجتماعية التي أحاول الاقتصاد في الذهاب إليها، اتصلت أختي

لتذكرني بموعد زيارة ابنة خالنا بمناسبة مولودها الجديد في الغد، كنت أضع قناعا طينيا على وجهي وأفرك أظافري بالثوم، وكان عبد الحليم حافظ يطرب سمعي بالرغم من صوت غسالة الملابس وصوت التلفاز الذي يشاهده أبنائي، كان زوجي وعلى عادته يخرج طيلة المساء إلى مكتبه الخاص، وكانت رائحة الطعام الذي أعده للغد؛ هربا من رائحة البصل الصباحي، تمتزج مع رائحة قهوة المساء ولا مفر من ذلك، كنت هنا رهينة الروتين، أخطط ماذا أرتدي غدا لهذه المناسبة، وأفكر في الوقت الذي أختطفه لشراء الهدية. فوجدت صباح الغد مزدحما بارتباطات عمل ولأول مرة أقرر أن ألجأ إلى الزلوف.

أحب الاعتناء ببشرتي وأظافري، وكأن هذا الاعتناء جسر محبة بيني وبيني، أشعر بارتياح حين أكون في كامل أناقتي، حين أهب جسدي الاحتواء، أو بالأحرى أدرك بوابات العبور، شهوة الانصهار، يقول نيتشه: جسد أنا بكلي وكليتي ولا شيء غير ذلك، وليست الروح سوى كلمة لتسمية شيء ما في الجسد.

يدرك زوجي أنني لم أعد أهتم به، وأن هذه الأناقة تخصني، أشعر باستفزاز في داخله، ويسعدني هذا

الاستفزاز، كثير من التوتر ينمو بيننا، فلماذا يتمسك بي أو أتمسك به، تقول أختي:

أتودين العيش تحت رحمة زوجات أخيك؟

أرد: سأعيش وحدي

تضحك بصوت عال، وتقول:

الحياة ليست كما نتخيلها بل كما نعيشها. ثم اسمع صوت ضحكها يدق مثل يد المسحان

اتصلت بالحاضنة لأؤكد تواجدها في المساء بالحضانة، وعند الجلوس على وجبة الغداء بينما كانت الابتسامة لا تفارق محياه وأنا أخمن ما إذا كانت هذه الابتسامة بسبب سكرتيرته الأخيرة التي وكما يبدو أنه تحصل على كنز أنثوي، الآنسة مرام ذات الصدر الكبير البارز الذي تخيلته عند أول مرة التقينا بها كجنرال عسكري وكأن قضبان الرجال فوهات مدافع، هي من النساء اللواتي يعشقن حشو مؤخراتهن، تخيلت مؤخرتها مثل كيس البوكسينق وابتسمت، هي أيضا ابتسمت.

ولست أدري ما هو سبب ابتسامة هذه الملعونة؟

ولست أدري لماذا ألعنها؟

كانت ابتساماتنا المتبادلة مثل صواعق، وكان زوجي يمطر هرمونات، لقد تخيلت غدده الكظرية وهي تستنفر لإفراز هرموني الأدرينالين والتستوستيرون، أحسست بارتباكه، لقد قرأت جسده جيدا، إنني أقرأه من حركة أصابعه، رمشة عينيه واضطراب جلسته، ضحكت في داخلي حين أدركت أنه يختنق.

ابتسمت فنظر إليّ وكأنه انتبه أنني قبضت على مخيلته، استغليت هذه الفرصة في ارتباك خطوطه الأولى، لأمرر كرتي وأخبره بموعد زيارة اليوم، ركض أحد مدافعيه بأقصى قوته، وركلني، حين صرخ معترضا.

- فاللعبة هنا تختلف قوانينها، إنها تشبه حلبة مصارعة يستمتع فيها الجمهور بضربك -

لم أشأ أن أسقط ولم أتنازل عن رغبتي بالذهاب، ظلّ يشعرني بتقصيري في تربية طفليّ وفي أعمال البيت، ثم ذهب إلى الغرفة وأشعل سيجارة.

حزمت أمري على الذهاب رغم العواقب، أشعلت

ضوء غرفة النوم، فتحت النافذة للتهوية ورششت معطر جو، أخرجت فستاني وأنا أحاول أن أراقب ردة فعله، كان قلبي ينتفض كسمكة في شباك صيد، وظللت أردد: متى تصبح أظافري مثل أظافر الحياة؟

متى تصبح أظافري مثل أظافر الحياة؟

لمحته يراقبني وأنا أضع كريم الأساس على وجهي وأمرره بحركة دائرية، بينما مازالت رائحة الدخان عالقة في فضاء الغرفة وكدت أختنق منها، بينما هو كان يجلس في هدوء مريب، ثم سحب الغطاء ونام.

منذ فترة لم أذهب إلى أي مناسبة اجتماعية، أنا كائن وحيد، الذين أعيش معهم لا يفكرون مثلي ويطلبون مني أن أفكر مثلهم، ولا أعرف من أين وهبوا لأنفسهم الحق بذلك، أنا كائن وحيد وهذا الذي لم تنتبه إليه صديقتي.

وكالعادة لم تنتبه جميعهن إلى أنني كنت منزعجة، فالحوارات تجري في دوائر مغلقة، كانت عادية جدا، غير شيقة، بل مملة، محلات ملابس، أثاث، طبخ، أفضل المقاهي النسائية، أفضل خبيرة تجميل، تساءلتُ كثيرا عن هذا الاندماج، كيف يستطعن التفكير بهذه الأمور

وكأنهن يعشن في صوبة زراعية، كيف وصلت إلى هنا؟، بل كيف أصل دائما إلى هنا؟!!!

خرجت مسرعة بعد أن مررت بتجربة صعبة في تقديم الزلوف، دخلت إلى السيارة على عجل وتركت وجهي لنسيم البحر، فتحت النوافذ، تنهدت وبحثت في حقيبتي عن علبة الحبوب المهدئة، وجدتها فارغة، اتجهت نحو الصيدلية وأنا أبحث عن الوصفة الطبية؛ أدركت أنني قدمتها بدلا من الورقة النقدية.

في وقت الأعياد

في وقت الأعياد تمطر المشاعر بغزارة، تنمو الابتسامات على الوجوه الشاحبة، تهتز الأجساد بالقبل والعناق، تضج المرابيع بالنبرات الدافئة، وتحط على نوافذ البيوت حَمَامات سلامٍ وأمنيات، يكنس العيد كآبة شوارع المدينة، متزينا بالعقود في أحيائها الشعبية، مترنما بأصداء الصيحات والتبريكات، في وقت الأعياد تلمع العيون وتخبو الظنون، يطلق الأطفال صفارات فرحهم، ويستلقي الجميع على أكف الجدات، هكذا يخيل إلينا العيد دائما، وهكذا نكتب عنه في حصة التعبير المدرسية، إلا أن تلميذا ذات يوم خانته رعشة أصابعه وهو يلتقط بعض الجمل من خياله النحيل، حاول أن يركض معه إلى أفق شاسع، لكن هذا الأفق كان مسكونا بالجدب والوجع، كانت المعلمة تعد من العشرة حتى الصفر إيذانا بانتهاء الوقت، ظلّ

مرتبكا وهو يراقب زميله عابرا سطرا تلو الآخر، بينما سطوره كانت عصية على الكتابة.

عشرة:

مازالت الصفحة خاوية على عروشها، يلمح التلميذ وجه أمه يلوّح لانكساراته بينما كان أبوه يحمل الصفحة على أكتافه وهو ينزلق في الغياب

تسعة:

كتب (كان العيد) ثم اصطكت جوانحه ودبت رعشة في جسده، خفق قلبه بقوة.

ثمانية:

كتب (رائعا وكنا نفرح)

سبعة:

أخذ الممحاة وبارتباك محا الجملة.

ستة:

زاد ارتباكه، بدأت أنفاسه باللهاث، نظر إلى زملائه، وجد بعضهم مازال يكتب بينما الآخرون يسلمون

أوراقهم إلى المعلمة.

خمسة:

حاول أن يضم الورقة بقبضة كفه، لكنه لايزال يرى أمه تلوح له وأباه يصارع أحماله، كان صوتهما أعلى من صوت المعلمة ولبرهة كاد أن يسقط في اللامكان .

أربعة:

رجع إلى وعيه، تحسس كدمة في قلبه، سقطت دمعة أغرقت بياض الصفحة.

ثلاثة:

تنهد.

اثنان:

حاول أن يكتب مرة أخرى.

واحد:

كتب (في وقت الأعياد) .

في وقت الأعياد تخرج الشوارع في كامل أناقتها، تتعطر بالبخور، تغازلها الضحكات، يجلس كبار السن

على الأرصفة يمارسون عادتهم اليومية في لعب السيزا بينما يكتظ الشارع بالشباب والأطفال، تداعب رائحة القهوة الأنفاس، وهي تخرج من البيوت مع (الغريّبة بالقرنفل والمقروض) اليوم عيد المولد النبوي الشريف، يجهز الأطفال قناديلهم، توقد الأمهات الشموع وتصدح الابتهالات من الجوامع، يخرج الشيوخ من الزاوية الصوفية يحملون الطبول والبنادير يرددون المدائح النبوية، يرش الناس ماء الزهر والحلوى، وفي ساحة الحي وبينما (الخط ولوح) والألعاب النارية تستولي على دهشة الأنظار وتسرق حاسة السمع من الآذان، يجتمع الشباب في الساحة ليحرقوا إطارات السيارات، يدورون حولها ويغنون:

هذا قنديل وقنديل يشعل في ظلمات الليل

تراقبهم النساء من الأبواب والنوافذ، مسرورات بفرحة أبنائهن، في وقت الأعياد يغمر النور القلوب، إلا أنه دائما هناك ركن مظلم مثل قلب تلميذ يتقلب على بياض الصفحة ويصهل للمسافات والقدر، حيث الحنين يطوق الأنفاس، مثل شرفة زوجة تراقب الأطفال، وتوقد قناديلا من الشوق وتحترق .

بينما تستلم المعلمة الأوراق من التلاميذ الذين يتهافتون عليها والكل تمتلكه رغبة بأن تقرأ معلمته ما خطته يداه من أحداث وذكريات، يجلس تلميذ في ركنه المظلم يصارع خياله وهو يلمح الجملة الوحيدة التي كتبها – في وقت الأعياد –

في وقت الأعياد لحظات عبور ومحطات تزويد بوقود الفرح، يحاول البعض شحذ هممهم باللمة ومؤازرة الأحبة، تحتشد المطارات وبوابات الحدود بالمسافرين، تتكدس بالراجعين إلى بلدانهم، تزنقهم الإجراءات مثلما تزنق أسنان المتخمين فتات اللحم، يسابق الجميع الوقت من أجل وقت آخر ليس إلا.

ـ هذه الحياة هي أضحوكة شرسة ـ

قالها المسافر وهو يجلس على قطعة خشبية ملقاة في أحد أرصفة الحدود يستند على ظهر غيره، حيث تتكوم الأجساد على بعضها وقد هدهم التعب وشتائم الحرس، لم يأت الضابط بعد من أجل ختم أوراقهم، هم الآن ضحية ضابط حلّ العيد دون أن يقلم أظافر شوقه، لذا قرر أن يغرسها في أجسادهم المنهكة.

كان صوته عالٍ وهو يتشاجر مع زوجته لعدم قدرته

على المجيء، رمى هاتفه واستلقى ثم صرخ طالبا كوب شاي، وبكل بساطة كان الوقت الذي يكفي لغلي كوب شاي، يكفي أيضا لمضغ الوجع.

ـ أحيانا لا يكفيك أن تسند ظهرك على الأحلام أو الأمنيات المترفة فكل الحوائط وهم ـ

كان المسافر يشعر بتعب الجسد الذي يلتصق به مثلما يشعر بانهيار جسده، زلزال يهز داخله، تجرع آخر ما تبقى في قنينته من ماء وقد جال بنظره نحو مكتب الأختام، ظلّ يقلب هاتفه ويوبخ نفسه على قرار سفرته المفاجئ، متسائلا:

لماذا قرر الرجوع الآن؟

لا يوجد في القرية ما يشبع شوقه، فكل الطرق التي تؤدي إليها أصبحت باهتة، البيوت باهتة، المقاهي باهتة، الساحات باهتة، فلماذا يعود الآن؟ ولا أحد في القرية سينتظره، هو مسافر داخل القرية وخارجها، تذكر والديه فصعدت حمم أنفاسه حتى قمة وجعه، سأل الله لروحيهما المغفرة ولروحه الطمأنينة، حاول أن يركض بعيدا عن بيته، عن طفولته، وعن أخيه لكنه اصطدم بحزنه فرجع مغمض العينين منكسر الحنين

طاويا ذكرياته في سيجارة أحرقها وهو ينتظر ختم جواز سفره، لا شيء يملكه هناك وها هو يعود محملا بالهدايا والألعاب متغاضيا عن نكد زوجة أخيه التي تخشى عودته ليشاركهما بيت العائلة، حالما بعناق باهت من أخيه.

في حصص التعبير المدرسية، أحيانا يصبح البياض لعبة قمار بينك وبين الحياة

- ارمِ خيالك مراهنا بذاكرة معطوبة -

عافر تلميذ آخر الكلمات التي رغب في ارتدائها مثل ملابس حلم بها ولم تأت، كان يشكل الكلمات مثل حلوى العيد التي لم يتذوقها، شرع النوافذ وظلّ يرقص للضوء، كتب عن بيت كبير مزين بالأشرطة والبالونات، عن فرحته باستقبال أبيه حاملا الخروف وأكياس البضائع، عن تلفاز يصدح بالأغاني، عن رائحة الشواء، لم يذكر الأدوية المتراكمة قرب فراش أبيه، لم يذكر صراخ أخيه الصغير في غياب أمه، ولم يذكر كيف رجعت منهكة بعد يوم عمل مضنٍ في البيوت حاملة بعض اللحم الذي طهته لوالدهم المريض بينما تهافت جميعهم على المرق وبعض القطع الصغيرة.

تساءل التلميذ: كيف ستستقبل المعلمة ورقته، كان يشعر أنه سلمها ما يشبه لعبته القطار التي يحاول دائما أن يدخل يده ويخرج السائق ولا يستطيع، هذا السائق الذي يحاول دائما أن يتعرف عليه، كان البياض يلتهمه حتى فمه، وصار يشعر بالاختناق، ظلّ يصرخ ويصرخ دون أن ينتبه أحدهم إليه، دائمًا يشعر في أعماقه أن الحياة صراخ على الصامت، اهتزاز داخلي، تذكر في هذا العيد وعلى غرار أعياد سابقة؛ كيف ضمت زوجة عمه أولادها وهي تعطيهم هداياهم، بينما وضعت هديته على الطاولة، لم تكن الهدية هي التي يرغب بها، ولكنها كانت ستسعده لو قدمتها له مع قبلة وعناق، فقط قبلة وعناق، تذكر وهو يكتب جملة – في وقت الأعياد – آخر قبلة طبعتها أمه على خده قبل أن يلتهم الموت أبويه دفعة واحدة إثر حادث سيارة، تذكر انقلاب السيارة وكيف كانت أمه تحضنه بقوة، وكيف التف والده حولهما والسيارة تنقلب وتنقلب، صمَتَ وجعاً ثم قال:

لقد كُتب لي النجاة من الموت، ولم يُكْتب لي النجاة من الحياة

أنْ تفقد أبويك دفعة واحدة هو أن تجعلك الحياة

لباس حدادها، هو أن تصبح رصيفا لطرق مهجورة، هو أن يسكن الفراغ جسدك، أن يصبح قلبك مثل غرفة خزين الطابق العلوي مليئة بالكراكيب وموحشة، مثل الموج تركض نحو حتفك دائما، مثل الأبواب تعيد نفس السيرة طيلة الوقت، أن تفقد أبويك دفعة واحدة هو أن تفقد اتزانك ويصبح فرحك مثل أوراق الخريف .

لذا قدم التلميذ الفراغ لمعلمته - في وقت الأعياد ..... -

كانت المعلمة تعد من عشرة إلى واحد وهي تراقب طلبتها بانتشاء، تلتقط من ضحكاتهم موسيقى ترتق بها قلبها، تلتقط من كتاباتهم طائرات ورقية، علب ألوان وقلائد مضيئة، كانت تمر بين الأدراج كعصفور فارٍّ من قفصه، يشغلها أحيانا حذاؤها الذي تكاد أن تُفَصَلُ جلدته، وأحيانا تلهو بأظافرها المتقصفة، يربض الشحوب على ملامحها، ويغزو الإعياء جسدها كسرب نمل يلتقط فتات قواها، فمنذ وجع داهمها فقدت الشهية، واستسلمت للوحدة والصمت.

على مائدة الطعام، كان أخوها يضع اللقيمات في فم زوجته، منشغلا هياما وغزلا، وكعادته لم يعر

لأخته اهتماما، بل كانت علامات الاستياء بادية على وجهه، ولم تستطعم إلا المرارة منذ باع إخوتها بيت العائلة وأجبروها على التنقل بينهم، لم تعد الحياة هي ذاتها، فقد حط الشتات رحاله على تخومها، وانقطعت قوافل الأحلام عن السير نحوها، وكالعادة بعد أن أعدت الطعام، وقفت لتنظيف الطاولة وغسل الأواني، ثم ركضت مسرعة إلى غرفة الأولاد والتي خصص لها جزء فيها؛ بوضع فراش سميك جدا وغطاء قديم خلف الباب، فقد سمعت زوجة أخيها رافضة شراء سرير لها، قائلة: إن وجوده سيشوه ديكور البيت دون أن يرف لها جفن .

- في وقت الأعياد ..... مازال الطفل يتسلق هذه الجملة ويسقط في فراغها، الفراغ احتفاء بالوجع، احتفاء بالصمت، للفراغ عيده حين توقد الشموع، ثمة انكسارات تصطك كأوتار عود، ثمة حزن لا يتوقف مثل دموع سقطت على خد معلمة قرأت ورقة تلميذ كتب فيها، في وقت الأعياد ..... .

قفزة ديكارتية

حكّت الأرض جسدها ثم حاولت اقتلاع شيء ما، توقفتُ مراقبةً إياها وإذ بها تسرع في دورانها، صارت تسرع وتسرع وفي كل لحظة يبدأ حملها بالتحليق بعيدا عنها، كل شيء اقتلعته

البشر .. الحيوانات .. الأشجار .. البيوت .. الجسور .. المقاهي .. المساجد .. الكنائس .. السيارات والمقابر

كان الصراخ يعلو في كل مكان

كان الصراخ .. النباح .. الصهيل والطنين.

رأيت أفلاطون وهو يحمل مدينته الفاضلة، نيوتن وهو يركل تفاحته نحو الأرض، السامري وقد تناثرت قبضته في الهواء، وحده كوبرينكوس كان يقهقه قائلا: الأرض تدور الأرض تدور .

رأيت حجر رشيد .. حصان طروادة .. مسلة حمورابي ثم اصطدمت بأحد الأقمار الصناعية، انتبهت وقد شدّني أحدهم .

كان أخي بصوته العالي، زبده المتطاير وعطره النفاذ باحثا عن جلٍ لشعره، مددت يدي إلى الدرج، ركلني طالبا مني إعداد فنجان قهوة ولم يتوقف عن الصراخ وشتيمة نساء البيت جميعا بينما ظلت أمي منزوية في غرفتها تمرر مسبحتها بين أصابعها وقلبُها يتقلب بين تنهيداتها .

بعد خروجه صار البيتُ كصندوقٍ فارغ يمكن أن يلقيه صاحب محل أفرغ ما به ولم يعد يعبأ به فتتلقفه ربة منزل لتضع فيه بعض الأغراض المستعملة، مزهرية كُسِرت إحدى أذرعها، هاتف أرضي، أباجورة عاطلة، كيبورد لحاسوب قديم، أو يمكن أن يأخذه العجوز الذي اعتاد جمع الخبز كل صباح، أو ربما تؤول رحلته نحو شاحنة القمامة.

ههه يا للخيال الذي يتلاعب دائما بعقلي ..

صندوق فارغ !!!

وضعتْ أختي الآن أحمر شفاهٍ قاني اللون، مططتْ شفتيها ثم أبرزتهُما على شكل دائرة والتقطت صورة سيلفي لصفحتها على الفيس بوك، لا أتذكر اسمها ربما كبريائي سر أنوثتي، قلبي موجوع أو عنيدة وما كيفي حد، كانت صورتها فتاة بعينين زرقاوين وشعر أشقر ينسدل على الكتفين أما غلافها لعاشقين يتبادلان القبل، وقد أمطرت الفيس بوك بصور شفتيها، أظافرها الملونة وظهرها حين ترتدي فستان سهرة وقد طاوع شعرها حرارة الاستشوار لينساب لحظة شبق لأناقتها، بينما أختي الأخرى لم تتوقف عن السجود وقد تحصلت على وصفة للزواج، اثنتا عشرة ركعة؛ إذ تسجد سبع سجدات بعد كل سجدتين ثم تقرأ الفاتحة، خواتيم سورة البقرة، المعوذتين وبعض الأدعية .

تشاجرتُ أنا وخيالي بخصوص الصندوق الفارغ ..

– ألا يجدر بك أن تشبه البيت بالكرة حيث الهواء محبوس بإتقان وكل شيء يدور ويدور من غير وجهة، تذكرتُ حلمي وضحكتُ كثيرا .

– لم أنتبه إن كان الناس عراة –

سؤال خبيث، خبيث جدا يبدو أن خيالي يحاول

أن يروضني وها أنا فرس اعتادت قفز الحواجز، كلما أقفز حاجزا يغويني الآخر، جلس بقربي نابليون وهو يمرر أصابعه بين أكمامه وكأنه ينبهني أنه مرتدٍ ملابسه، وفي حين خيالي كان يقهقه عاليا، قال نابليون: الخيال يحكم العالم.

كنتُ أعد نفسي للذهاب إلى المدرسة خرجتُ إلى الشارع، أغلق غالبية الجيران مربوعتهم للتأجير- حتى أخي- وقد أصبح شارعنا في لحظة طريقا مارة، وأصبح بيتنا محل ملابس، بقربنا محل لبيع الطعمية والخبز الشامي والمخللات، بجانبه كافي، حيث يجلس بعض الشباب أصحاب الأظافر الطويلة والسراويل المتناصلة[1] والشعر الغارق في الجل، مغسلة ملابس ثم محل سيارات، كل المساحات للتقسيم الآن، مخططات .. مخططات، غزت الكاولينا البيضاء المساحات الخضراء بقربنا ولم يعد يغريني في هذا الشارع سوى شجرة عتيقة تذكرني بي، أنا التي وصلت الأربعين من عمري، العانس الكبرى والجدار المائل الذي تلقي عليه أخواتي سبب عنوستهن، جميعهم يحبون الجدران وأنا

1- السراويل التي تظهر الملابس الداخلية

لا يهمني لو ضاع الحائط وظله لأبحث عن ظلّ رجل وكم أتمنى لو اختفت كل الجدران .

- هههههههههه

- اصمت يا خيالي

- انتبهي .. تخيلي لو اختفت كل الجدران

- قلت لك اصمت

- لا أستطيع إني أتخيل الآن .. الحياة دون رتوش

كم ستتغير الحياة دون جدران

الجلسات العائلية

غرف المعيشة

الحمامات

غرف النوم هههههه

- قلت لك أصمت

- حسنٌ سأتوقف الآن .. فقط تخيلي حجرة المدرسات

- هههههه (أنا من ضَحِك الآن)

حجرة المدرسات صاخبة بالأحاديث الصباحية وها قد حضرتُ أنا، بسكويتتهن المحلاة بلذة الوشوشات وهنّ قهوتي المرة

لا يهم .. أحب القهوة المرة

أحب أن تنساب بين شفتي حتى أجلس في أقصى روحي أدخن سيجارة خبأتها ذات رغبة حيث وجوههن تتلاشى في دخان أفكاري، فلا شيء يُجدي في حبكتهن الحوارية .. فساتين، أقراط، أساور، حقائب، قاعات فخمة، حلويات، موالح، حفلات خطوبة، زواج ..

هنا يكاد الخيال أن يفرغ ما في جوفه

تماهيتُ مع ذبابةٍ كانت تتنقل من مكان إلى آخر ومن نقطة إلى غيرها، كنت أنتقل معها بنظري ولم أنتبه إلا والحاجة مسعودة عاملة النظافة قد نكزتني ونبهتني أن وجود حقيبتي على الأرض سيقطع رزقي

سمعتُهن يتهامسن: ما فيش عريس

قفزت قفزة ديكارتية

قررت أن أتشبث بالذبابة

أدور في الغرفة مثلها

أدور وأدور

وأقتلع كل ما حولي

لا تجعلوا خيالكم يذهب بعيدا .

حلمٌ عارٍ

كم أرغب جدا برؤيته، فقد اشتقت إليه كثيرا ولم أصدق أنه قريب جدا مني، وبنظرة ميكافيلية مشيت بحذر وتلصصت من ثقب الباب، رأيته مرتميا على الأرض، عاريا يسرح العرق في جسده كجيش مغولي، في النظرة الأولى أغمضت عينيّ، فأنا لم أعتد أن أرى رجلا عاريا من قبل، ذات مرة صرختْ جدتي في وجه زوجة خالي بينما كنت أقدم العصير بمناسبة حفل خِتان حفيدها: غطي وليدك.

نظرتْ أمي إلى جدتي باستغراب فوشوشت لها: يفترض أن لا ترى البنت (الطهارة) جرح الوليد ما يبرش.

في النظرة الثانية فتحتُ عينيّ طويلا، حدقتُ فيه كثيرا وهو جامدٌ لا يتحرك، لا شيء سوى قطرات العرق التي تكتسحه وصوت أنفاسه المنبعث كأنين وترٍ

مترهل، دبتْ في جسدي رعشة كأنما سرب نمل يحمل أفكاري المتشظية نحو قريته، يسربها إلى مستعمراته خشية هطول شهوةٍ عابرة.

أتذكر في المرة الأولى التي أرسل إليّ أحدهم صورته عاريا على صفحة الفيس بوك، كان مبتسما وواقفا ترقص الحياة في ملامحه كمهرج، شعرت بأن خشبة المسرح باردة وتقززت كثيرا من هذا العرض الرخيص، أما هذا المستلقي كموميياء فرعونية، فقد شدني نحو سراديبه المظلمة تحت ضغط عصف ذهني مررني بعيدا عن رغبة جافة، اختنقتُ وركضتُ بعيدا، جلستُ على الكرسي، عانقتُ الوسادة وخفق قلبي بقوة.

حضرتْ أخته ومعها القهوة، سادتْ لحظة صمتٍ تلتها كلمات روتينية انتظمت كخرز مسبحة بين أصابع عجوز، كنت أشعر بوعكة مثل بركان أعلن حضوره على حافة صمت موارب، استجمعتُ قواي وكأنني أحقنني بحقنة مورفين وسألت صديقتي عن أخيها فقالت:

- ربي يلطف بيه

أخي يهلوس

يصرخ طوال الليل ويتصرف بغرابة شديدة

أخي يحمل الحرب في داخله

فمن يسكن معنا ليس شخصا واحدا بل هو حزمة من الأموات والجرحى والمبتورين

يستفزه الضحك، يستفزه حتى صوت الأطفال

أخي تختبئ منه الحياة خشية أن يقبض روحها

هو معلق في لحظة صمت

ثم أجهشتْ بالبكاء وبينما كنت أربت على كتفها، كنت أتدلى معه، جلستُ أمام جسده العاري كحلم متصحر، صفعته عدة مرات، نظر إليّ، ابتسم، اقترب مني وقال:

- كيف حالك

- الحمد لله

- حتوحشيني

- .....

- الحرب حتنتهي وحنرجع ادعيلي .

زاد صوتُ أخته حدةً وهي تقول: خويا ما روحش .. خويا ما روحش

احتضنتها، استمرتْ في قولها: أعرف أنه يحبك، لكنه الآن يتحاشاك، يتحاشى ذكر اسمك، أتدريكن ذلك ؟

تبًا للحرب .. تبًا للحرب

شعرتُ بهبوط في سرعة نبضي، كان الألم ثقيلا جدا، صرتُ أتنفس بصعوبة وبينما كنت أتدلى رأيت الوطن على مسافة من وجع يستلقي عاريا فأغمضت عينيّ خشية أن الجرح لن يلتئم.

الوقوف على رجل واحدة

جف قلمي وأنا بحاجة ماسة إليه، سألت الحاضرين، لكنهم جميعا لا يمتلكون قلم حبر، كان المكان غريبا جدا بالنسبة إليّ وملهما أيضا بطريقة مستفزة، فأنا لم أعتد ارتياد المطاعم الفاخرة وهذا اليوم كنت فريسة دعوة ودودة، لم يظن صاحبها أنني سأقبلها على مضض، وأنني قضيت يومين كاملين باحثا عن ملابس تليق بهذه الدعوة فأنفقت آخر ما تبقى لي من نقود في شراء قميص من محل تخفيضات عثرت عليه في حي شعبي، وأنني بذلت ما في وسعي حتى أرقع حذائي وألمعه ببعض قطرات زيت الذرة، كنت مرتبكا جدا، لكن فكرة أن يجف قلمي لم تخطر ببالي وها هي آخر قلاعي تسقط وأنا الآن على مرأى من الجميع وحيدا يحملني حذاء مرقع.

تأملت الطاولات الأنيقة بأكوابها اللامعة، ومناشفها

البيضاء، تتوسطها مزهريات إسطوانية الشكل، تحمل زهورا بيضاء أيضا، الحوائط التي لم تشكُ من أي خدش، تستلقي عليها بعض الرسومات وكأنها تاتو على ظهر فتاة، الأباجورات بقماش خلاب وكأنهن راقصات باليه تحتفي بهن أرضية من مرمر تهب المكان فخامة ووقار، كل شيء كان مرتبا جدا، لذا انتبهت وأنا أرتب جلستي أن ظهري آلمني من الضغط الذي مارسته على أعصاب جسدي محاولا ألا أشوش على هذا الجمال، وتخيلت أنني قطعة جماد وأنني لا محالة سأكون فريسة عامل النظافة الذي سيلقيني بعيدا عن هنا، وعلى ذكر الجماد كنت أحاول جاهدا الانخراط في الحديث الجماعي حتى لا ينتبهون إلى ارتباكي، ومحاولا في بعض الأحيان الهروب إلى الموسيقى التي أطلت مثل جنية حولت ندبات روحي إلى فراشات وعصافير، كان الحوار الدائر ممتعا تزينه النكات حتى إنّ أصواتنا تعلو من حين لآخر ورويدا رويدا بدأت في الاسترخاء إلا أن حاجتي للقلم لم تنطفئ جذوتها بعد، كانت حاجتي للخربشة ملحة جدا وكنت أود أن أرسم كما اعتدت دائما خطوطا ودوائر وقلوبا بأجنحة، وأن أكتب عن أكثر شيء أغراني وهو القلم الذي يمسكه النادل.

لم أترك هذه العادة أبدا، فلماذا جف القلم اليوم، أنا سيد الخربشة على الجدران، الأثاث، عتبات البيوت، لم تفهم أمي لماذا كنت أرسم بشرا ووجوها؟ !!!

(كلما تبكي؛ أرسم وجها يضحك، كلما أشعر بالضجر؛ أرسم بشرا يرقصون)

رسمت بالطباشير على القطران، خططت بأصابعي على الرمال، نحت بمفاتيحي على جذوع الشجر، يروق لي أن أترجم مشاعري، وأراقص أحلامي.

أتذكر في المدرسة الإعدادية وقد تمت معاقبتي بالوقوف على رجل واحدة بسبب الخربشة على أحد الأدراج، كنت قد رسمت سحبا، عصافير وشمسا ضاحكة، لم أدرك ما سبب العقوبة؟، كان الدرج مساحة صامتة وأنا أنطقتها

فلماذا أوقفوني على رجل واحدة؟

كنت وأنا أترنح؛ أحاول القفز بين السحب، ومطاردة العصافير، فوشوشت الشمس لي قائلة: لم تقتنع المعلمة بأنني أتكلم، استغربت كثيرا، لكنني أحسست بفرحة غامرة؛ لأنني أمتلك سرا لا تعرفه المعلمة.

حين كبرت قليلا، تعلمت أن أخبئ أسراري، وألا أرسم في كل مكان، فهل كانت هذه الحالة تكيف بيئي؟

(دائما ما يراودني هذا السؤال)

صرت أكتب على أغلفة السجائر، الفواتير القديمة، قصاصات الورق والمناديل، أكدسها في أدراج غرفتي، مكتبي والسيارة، كلما أعاود تصفحها، ألاقيني أنا

كيف فكرت

كيف بكيت

كيف ضحكت

وأتساءل: لماذا تأقلمت؟

وصل الحديث بنا عن التوجه نحو العمل الحر والابتعاد عن الوظيفة التقليدية، بعد أن صارت الحكومة عاجزة عن تحسين مستوى موظفيها أمام التغول الرأسمالي الذي مد أذرعه في البلاد، وظل النقاش يدور بين فكرتين؛ إما أن المتجه إلى العمل الحر لم يتحصل على وظيفة في عمل حكومي تشعره بالأمان نسبيا بسبب ضمان إيراد دائم رغم قلته وبسبب المعاشات التقاعدية، أو أنه مجازف يصل إلى

حد التهور...

ـ لكن المشكلة الصعبة هي كيفية البدء في مشروع مريح برأس مال لا يملكه الجميع أو بحرفة تتقنها وتستطيع الصمود، فخارج الملعب الحكومي قطاع خاص شرس ـ

عند حديثي شعرت أنني كنت أشبه بعابر طريق سريع خرج فجأة على السيارات، ثم أحسست أنني أسقط من مرتفع شاهق، نظر إليّ جميعهم نظرة استغراب، كانوا يناقشون العمل الحر من وجهة نظر رأسمالية، نعم أدرك ذلك، أيها البروليتاري الذي لا يمتلك رأس مال ليس لك أن تتخلص من قيودك، نعم؛ أنا لست أنتم، فأنا وجهة النظر الأخرى، ضمن الواقفين على رجل واحدة.

قناع سلطة الحمص بالزبادي

شهقتْ شهقة عالية ثم استرسلت في الضحك مثل عزف مبتدئ على آلة الكمان، كانت الفتيات اللواتي اجتمعن لإعداد سلطة الحمص بالزبادي قد لطخْنَ وجوههن بها.

في بداية الأمر بدأت مروة دعك أصابعها ببقايا قشور الليمون فاسترسلنَ يتحدثنَ عن قدرته الفائقة في تبييض البشرة وتنظيفها، قالت ندى:

ما يدهش هو خلط عصير الليمون مع مادة الجلسرين، فعلاوة على التبييض فهو يجعل البشرة ناعمة جدا

وظللن يدعكن أصابعهن الرطبة الندية بشغف أنثوي، وبينما كانت غادة تقشر الثوم انتهزت هذه الفرصة لعرض خبراتها قائلة بعد التقاط إحدى فصوصه ودعك أظافرها:

لا يوجد أفضل من الثوم لتقوية الأظافر والشعر

علت الأصوات:

لا أحتمل رائحة الثوم

رائحة الثوم نفاذة وكريهة ستعلق في الشعر

ردت غادة:

تبقى رائحته في الشعر المبلل فقط وما عليكن إلا تجفيفه

ثم توالت الأحاديث حتى انتبهن أن السلطة بتركيبة الحمص، الزبادي والليمون ستشد بشرة وجوههن وتزيدها لمعانا وتألقا وما إن دهنَّ وجوههن بالخلطة حتى دخلت العمة فاطمة، شهقت ثم ضحكت وضحكنَ معها جميعا.

انتظمت النساء في مجاميع لإعداد متطلبات العرس؛ إذ يجلس بعضهنَّ يعقدْنَ حواف رداء البدلة العربية للعروس وإحداهن تخيط أزرار الكردية[1]، بينما

1- صديري يحاك بخيوط الفضة وأزراره فضة مطلية بالذهب وهو ضمن اللباس التقليدي الليبي وتجهزه النساء للعروس.

ينظم أخريات العدة[1] من الصوف وفصوص من الفضة المطلية بالذهب، كانت الحاجة صالحة تخبرهن عن دهن النعام وقدرته الفائقة في علاج آلام المفاصل، بينما الحاجة فوزية تقول:

لا يوجد أفضل من اللبوس الأزرق[2] يا هابا لولاه

بينما تحدثت عزيزة عن خلطة الحاجة مناني التي تعدها من أعشاب برية في الجبل الأخضر، مرت بقربهن العمة فاطمة وقد وضعت قناع سلطة الحمص بالزبادي على وجهها، نادتها الحاجة صالحة مشاكسة إياها ومنتبهة أن القناع أخفى علامات الشحوب على وجهها:

أووووه قناع مرة وحدة

ردت فاطمة:

1- شبيه البرستيج مصنوع من الصوف تضفره النساء تتدلى منه فصوص الفضة يعلق في الشعر عند ارتداء الزي الشعبي الليبي،

2- Indocid supp وقد اشتهر في فترة باللبوس الأزرق عند العجائز بسبب غلاف إحدى الشركات

شباب مش كيفكن تصنتن[1] في عظامكن، ثم أطلقت زغرودة لحقتها زغاريد النساء، التصفيق،الشتاوة[2] وأغاني[3] العلم.

كانت سناء تخبر نوال عن وصفة أعشاب لعلاج تأخر الحمل وهن يعددن أطباق الحلويات، ثم استرسلن في الزغاريد مع الجميع، وكعادة الحاجة صالحة اندمجت في الغناء، حاولتا فهم غناوة العلم ولكنهما لم تخرجا منها إلا كلمتا (القسم وغلاك) نادتا العمة فاطمة، فقدمت بابتسامة وهي تحاول مسح طبقة من القناع سالت بمحاذاة عينها، ضحكت ضحكتها المعتادة وقالت بعد سؤالهن عن غناوة العلم وهي تربت على كتف سناء:

«القسم[4] شين كي ينويك[5] يأخذ غلاك ما يجي يشاورك»

1- تصنتن؛ تعني تستمعن والمقصود بها تستمعن إلى الألم الساكن في عظامكن

2- ضرب من الشعر العامي في ليبيا

3- مفردها غناوة وهي فن شعبي ليبي

4- النصيب

5- كي ينويك: لو وضعك ضمن أهدافه

ارتبكت نوال وهي تحاول أن تقيس شدة حدة الغناوة على قلب الأرملة سناء بينما أردفت العمة قائلة في جملة عابرة:

القسم ممكن يأخذك حتى أنت

ومازال الارتباك مسيطرا على نوال وقد شرد ذهنها في الجملة العابرة متسائلة أيهما أقسى أن يأخذك القسم أم يأخذ غلاك؟ بينما العمة مازالت تتحدث بضحكتها المعهودة الدافئة وقالت:

وجوهكن شاحبات، عليكن بقناع سلطة الحمص بالزبادي

فنظرنّ جميعهن إليها بابتسامة دافئة.

في فناء البيت تنهمك بعضهن في تنظيف الدُّوّارة[1] وتقطيع البصل، المعدنوس، الكسبر واللحم لإعداد العصبان[2] والمصارين[3]، قالت فوزية وهن يستمعنَ إلى الزغاريد والغناء:

1- معدة الخروف
2- أكلة ليبية تعد من كرش الخروف
3- أكلة ليبية تعد مثل العصبان ولكنها من الأمعاء

طبعا نحن البنقلا [1]

ضحكت آمنة وقالت:

ابخوت هههه

كانت آمنة تدفع أحد أبنائها بعيدا عنها بعد أن أزعجها بطلباته وتصرخ في الآخر الذي بلل ملابسه وهي تلبسه ملابس أخرى، صاحت فيها العمة فاطمة وهي تحضر الشاي والكعك:

خفي على وليدك، محدثة نفسها قائلة:

طفلة تعاني في أطفال ... جريمة !!!

وأخذت بإصبعها مسحة من القناع ومسحت به وجه آمنة مشاكسة إياها وقائلة: وسعي بالك.

على طرف الطاولة حيث معدات قطع الخضار واللحم من ألواح وسكاكين، كانت العمة عائشة منهمكة في تقطيع البصل والدموع تنساب من عينيها، جلست بقربها العمة فاطمة وقالت لها بصوت منخفض:

1- البنقلاديش ويقصد بها العمال

البصل ينزل دموع لكن ما يبكيش، اضحكي شوية

قالت العمة عائشة وهي تتفحص ملامح أختها فاطمة خلف قناع السلطة قائلة لها: وصيت لك على خلطة أعشاب قالوا كويسة

صمتت فاطمة برهة ثم قالت وهي تغسل وجهها بكأس ماء تاركة الغسيل يمضي نحو مساحة من الأرض المزروعة في الفناء:

الورم ما يبصرش[1] ولا بد من الكيماوي.

1- المقصود بها لا يشاكس، البصارة: المشاكسة

خذا سوك

لا أعرف كيف وقعتُ هنا

غير أنني كنتُ معها حين تحسستْ إصبعها وهي تحيط به خاتمًا آخر غير محبسها، وقفتْ أمام المرآة، عدلتْ هندامها، أخذتْ نفسًا عميقًا كي تفكك أزرار غيظها، رمتْ جسدها على السرير، أطبقتْ جفنيها وغاصتْ في جرح عميق.

دخلت الأم نادتها فلم ترد بأي كلمة، شدتها وقالت:

عيشي حياتك .. ما وقفتش عليه

دخلتْ الأخت الصغرى، أخذتْ أطباق الحلويات من تحت السرير، سمعت الحوار، وضعتْ الأطباق وأخرجتْ علبة المكياج، أسدلتْ بعض الرتوش على وجه أختها، سرّحتْ شعرها وأعطتها حذاءً آخر يليق بفستانها وقالت:

تبحث عنكِ خالتي تسأل عن أكواب العصير .

تسللتُ مع الأخت الصغرى وهي تخرج مسرعة متجاهلةً أمها حين وبّختها بعدما انتبهتْ إلى لون أحمر الشفاه الداكن قائلة:

حي عليك لو يشوفك بوك .

كان البيت يضج بالنساء، أصوات ضحكات، دردشات وزغاريد، وبينما كنت أركض مع الفتاة وأنا أراقبهن سقطت في عين ابنة عمهن ويبدو أنني « نكدية « أو « مبخوتلي « فالتنهيدة التي عصفتني بها أنفاس ابنة العم شطرتني إلى عديد الشظايا .

تستلقي العروس في الوسط مرتديةً رداءً ورديًا تمد يدها للحنّاية السودانية، تتحسر إحدى العجائز قائلة:

الله الله أيام ما كنا نعجنوا في الحنة بأنفسنا

حنة بريحتها السمحة

الوقت هذا ما فيش طعمة .

وبينما كنت أركض بين شظاياي المبعثرة أخذتْ

ابنة العم الطبل، نزعتْ خواتمها، التفّتْ حولها الفتيات وبدأتْ أصوات الغناء تعلو:

حوش كبير وفيه قمر ... إن شا الله برجاله عامر

لمحتُها وهي تخطو ببطء تهربُ من الأنظار، ولا أعرف ما شدّني إليها، لملمتُ ما تبقى مني وركضت إليها، أعطتْ الأكواب إلى خالتها ثم ذهبتْ مسرعةً إلى أخيها الذي صرخ في وجهها:

وين العشاء جهزنه بسرعة

قالتْ: سنحضره حالاً وتركته وهو يشتم .

تصفق الفتيات، تقف في الوسط إحداهن ترقص فيغنينَ لها:

يا مولاي شهادة وجبنا .. جيب زويل[1] اللي عاجبنا

هربتُ من صراخ أخيها وعدتُ إلى ابنة العم التي تتحسس كدمة في ظهرها وتقرع الطبل بألم وتغني:

نضحك يحسابوني رايق .. ونا مضايق .. مر مرار

1- زويل: تصغير زول

الدنيا ذايق

يعلو الصراخ والضحكات مع الأغنية وأنا وحدي أستمع إلى أنين قارعة الطبل .

تخرج أخرى للرقص يغنين:

الصقر اللي دايرلك قيمة ... إن شا الله تحت جناحه ديمة

توشوش إحداهن للجالسة قربها:

شفتِ الطقم اللي لابسته عايشة[1] يحق لها تدلع

تقول لها: اسكتي أنتِ مش عارفة شي راجل نسونجي مش داير لها أي احترام .

رأيتها تدور حولنا، تشدها خالتها، تجبرها على الرقص، الأصوات عالية، بينما تمتزج الضحكات بأنينها الخافت، الحناية ترسم يد أختها، تحاول الهروب فتقع نظراتها في الحناء وتتوه في تعاريجها، تقرع ابنة العم الطبل وهي تتحسس الكدمة في ظهرها

1- عايشة تعني تعيش في رغد

تلعثمتْ الأفواه

قفزتُ

وخزتُ ابنة عمها .. ركلتها ..

وأنا أقول يمكن أن يكون البخت فنجان قهوة لا يعجبنا فندلقه، يمكن أن يكون عابر سبيل ننسى ملامحه ويمكن أن يكون حذاءً نخلعه عندما يضيق، حاولتُ أن أسرق صوتها ولكن دون جدوى، رأيتُ خالتها تضرب كفيها بقوة حتى تصادمت أساورها، أصدرتْ رنينا هزني وكأنني جرس في قاعة امتحان، ومازلتُ أحاول أن أسرق صوتَها.

وصوتُها بعيد جدا، مازالتْ خالتها تضربُ كفيها، كانت شفتاها مثل غول يلتهمنا جميعا، وكنت أنا سمكة تتخبط في الشباك، حاولت أن أسرق أصواتهن كلهن فسبقتني خالتها وغنت:

خذا سوك يا عين الطير ... الرجالة ما فيهم خير

ذاكرة مفقودة

أنا ذاكرة مفقودة، أمضي وقتي عابرةً الشوارع المؤرشفة في ملفاتي كل يوم باحثة عن جسد كنت خزانة لحظاته ذات عمر، أراقب المارة وأتبين ملامح وجوههم لعلها تطابق شخصية كنت خاصتها، مضى الكثير من الوقت وأنا على هذا الحال حتى إنني اعتدت الأحياء التي تجولت بها واعتدت أهلها.

ذات لحظةٍ، ومضَ سؤال حيرني:

لمَ كل هذه الأحداث وكل هذه الوجوه لم تتغير ؟

المرأة التي تنشر الغسيل كل يوم وهي تتحدث مع جارتها في البلكونة المقابلة، العجوز الذي يعبر الشارع حاملا كيس خبز وأدوية، عامل النظافة، الشباب الواقفون على ناصية الشارع يدخنون السجائر ويتربصون بالفتيات المارات، بائع الخضار وهو يرش

الماء أمام دكانه، بائع المناديل والمتسولات.

فجأة قررت عبور شارع مغاير، ركضت بكل قوتي عكس جاذبية التكرار، جريت حتى إنني شعرت بقلبي يتمزق، أُصبت بالغثيان، توقفت في شارع جديد وخالٍ، التقطت أنفاسي بهدوء، نظرت عن يميني وشمالي فأقلقني الفراغ، تنهدت، شدّتني بعض الأصوات في هذا الشارع الخالي، فقادتني إلى مقهى، جلست على أول طاولة لاطمتني، راقبت روّاده ويالسعادتي حين رأيت أناساً جدد، ويالسعادتي حين أحضر النادل قهوتي المزبوطة وحين وجدت سيجارة روثمن في جيبي، وحين سمعت صوت عبد الوهاب الدوكالي .

تكرر ارتيادي للمقهى وأنا غارقة في لحظة ارتباك مجنونة، أحببتها جدا وأدمنتها، ولم أترك الطاولة التي لاطمتني أول مرة، فالشاب الجالس في الجهة المقابلة ترسو عيناه في ميناء حضوري كل مرة، ويظل طيلة الوقت مراقبا إياي، كنت أتلذذ برعشة قلبي، بمشاعر مغايرة، كنت أتعمد النظر في كل الأنحاء إلا نحوه ولكنني أسرقُني لألتقط نظرة دافئة لها نكهة سيجارة الروثمن، أضغط على أصابعي بكل قوة محاولة أن أضمني وكأن العالم يختبئ بين نهديّ باحثا عن لحظة هدوء، ومرة

أخرى ومض السؤال الذي لم يحضر كسابقه، فالأول كان له دهشة المغامرة، أما الثاني فقد سرقني من رائحة القهوة،الروثمن، صوت الدوكالي، وهذه اللحظة الآسرة، ألا وهو:

لمَ حتى هذه الأحداث أصبحت مكررة ؟

ووقفت بكل استغراب، ذهبت نحو الشاب، شددت الكرسي للجلوس، كانت الكلمات تتصارع في داخلي، رميت أفكاري على طاولة قمار مغامرةً بكل ملفاتي المؤرشفة، وبينما أنا على وشك الجلوس، ناداني باسمي ثم أردف قائلا:

يا الله مدة طويلة

ارتبكت وحاولت أن أقفز هذه المدة الطويلة التي تحدث عنها أو ربما أقفز إلى طاولتي مرة أخرى

كان صوته مألوفا جدا حتى إنه استطاع فتح أقفال ملفاتٍ لم يكن بوسعي الوصول إليها نظرت إليه في دهشة، وقد سبقني مرة أخرى قائلا:

(مرسول الحب فين مشيتِ وفين غبتِ علينا .. خايف لتكون نسيتنا وهجرتنا وحالف ما تعود)

كنت مثل قطار تعطلت فراملة، وكنت أرغب في الكلام لكن صوتي أصبح طائرا جريحا .

استرسل في حديثه:

تعشقين الدوكالي تشيدين من صوته الفخم قلعة لانكساراتك أو ربما اختياراتك.

كان الدوكالي يترنم على صهوة أنفاسي:

عايش جوال كنت ومازال عايش جوال

ثم قال:

أنا أحب سيف النصر بصوته الدافئ، أنت لا تسمعينه الآن لكنني أسمعه قائلا: (عيني بكت من شوقها يوم اللقاء .. عيني لقت معشوقها يوم اللقاء .. محبوبتي عند المساء طلت كما بدر السماء .. فكرتني بالقديم ماضي محبة وانطوى تحت الرديم)

تأتأتُ وحاولتُ الفرار من قبضة الصمت، لكنه كان مثل طاحونة هوائية في يوم عاصف وقال:

أتدركين أن كل الموجودين يسمعون أغاني مختلفة

ثم وقف وهز مَن بجانبنا سائلا إياه عن أغنيته

فردد بصوت مرتعش أغنية طلال مداح:

(مقادير يا قلب العنا .. مقادير ويش ذنبي أنا)

مازال يمرر لكماته لقلبي المكسور قائلا:

ألا تدركين أنك تسرقين لحظة ضائعة ؟

ارتبكت وأنا أتفحص خاتما في إصبعي محفورا عليه اسما آخر، رميت السيجارة وقررت الهرب وأنا أسمعه يقول:

ألا تدركين أننا جميعا ذواكر مفقودة .

صلصال

فتحة في الطابق العلوي إثر إطلاق قذيفة، قِطع الأثاث ملقاة على جانبي الطريق، باب البيت مخلوع، إطلاقات فارغة، خوذة عسكرية، بقايا أكواب وصحون فخار، سلال خضار معطوبة عند المدخل، موقد فحم على أرضية الصالون، تظهر منه بقايا رجل إحدى كراسي غرفة الطعام، أدراج المطبخ ملقاة بأغراضها، ملاعق، سكاكين، شموع، مغارف كبيرة، أداة سن، مضرب يدوي، آلة فتح العلب المعدنية أكياس بلاستيكية، ملابس مبعثرة.

تحرك عصام بحذر، رأى الدمى متناثرة عند الممر المؤدي إلى غرف النوم، اضطرب قلبه، ودون انتباه رفع إحداها، سقطت دموعه، أحس أنها تتنفس، ارتبك فوضعها جانبا مواصلا السير.

الأوراق الخاصة مبعثرة في كل أنحاء غرفة نوم

والديه، وقف في مكان شبه خالٍ من الكراكيب، جلس على ركبتيه، بدأ بسحب الأوراق واحدة تلو الأخرى، عقد الزواج، شهادات الميلاد، عقود شفرات هاتف نقال، صور عائلية، بعض الصور في زيارة إلى حديقة الحيوانات، أختاه تقفان بجانب قفص الأسد وتمسكان أكياس الفوشار، أمه تحمل أخاه الصغير وهي تركب القارب، والداه يجلسان على شاطئ البحر، هو وأخوه في المرحلة الثانوية، مازالت دموعه تنهمر، رمى الصور وظلّ يبكي.

ناداه صديقه، يستعجله المغادرة، انتبه للوقت وبيدٍ مرتعشة، بدأ بجمع الأوراق الرسمية في حافظة جلدية، بحث عن حقيبة فلم يجد، فتش عن جراب، فوجد فراشا، نزع غطاءه، وظلّ يجمع بعض الأغراض محاولا انتقاء أهمها، ولم يتوقف الدمع المنهمر من عينيه.

رنّ هاتفه مرات عدة، ولم يستطع الرد لانشغاله بنقل الغطاء المحمل بالأغراض، بينما صديقه التقط جهازا مرئيا قديم الطراز، كان موضوعا في غرفة الخزين وهو الجهاز الوحيد المتبقي في البيت، استعجلهم بعض الواقفين عند ناصية الشارع، وصوت

إطلاق الرصاص الذي وصل إلى مسامعهم كان نذيرا باشتباك قريب، عند وصولهم إلى السيارة التي على بعد عدة شوارع من بيتهم، زادت حدة الاشتباكات، ولم يجد الفرصة لالتقاط أنفاسه هو وصديقه، ركبا السيارة وانطلقا مسرعين.

أحس صديقه بلحظة الارتباك التي يمر بها الآن، بينما عصام مازالت تساوره مشاعر حادة، نظر إلى هاتفه، وجد العديد من المكالمات التي لم يُرد عليها من أمه وأخته، أعاد الاتصال بأمه، وطمأنها بخروجه.

ـ أخشى أن تكون هذه البلاد أشبه بعود ثقاب مشتعل، ستحترق ونحترق معها جميعنا ـ تكلم صديقه بعد فترة من الصمت، فقال عصام بضحكة ساخنة:

لقد احترقنا يا صديقي .

الحياة مأزق، هذا ما يدركه الآن، كررها عدة مرات

فقال صديقه:

لا يمكنك التوقف عن شد الحبل، حتى ولو كان البئر فارغا

أعاد مرة أخرى:

لقد احترقنا

لقد احترقنا

أوقف صديقه السيارة، وقد أزعجه آثار الغبار والدخان الذي علق في يديه، أخرج قنينة ماء من الباب الخلفي، سأله عصام عن سبب التوقف، فقال:

ترجل؛ لأطفئ الحريق

وحين أدرك أن عصام لم يحتمل مزاحه، قال له:

هيا، لتغسل يديك.

جلبت هنية دلو الماء، لتشطف البيت بعد أن غفت أمها، التي لم تستطع النوم إلا بعد الاطمئنان على عصام، هنية الفتاة ذات الثامنة عشر عاما والتي وجدت نفسها مسؤولة عن أم مريضة وبيت بكامل أعبائه، لم تكن الحياة مسالمة معها، لقد قطعت كل السبل بينهما، وهي تنزوي في بيت غير صحي بجدران تسكنها الرطوبة، ولا توجد به مياه جارية، مما يضطرهم لجلبه، استطاعوا توفير بعض الأثاث المستعمل والمتهالك، يسخنون الماء للاستحمام،

يستعملون الفرنيلو للطهو؛ هذا في حال لم تقطع الكهرباء.

اشتدت حدة الاشتباكات، وبالرغم من محاولة الابتعاد إلا أن القدر كان له وجه شرس، وقعت قذيفة على السيارة، تناثرت الدماء، ظلوا يصرخون، ولم يتوقف عصام عن الصراخ، ارتبك صديقه، حاول تهدئته، ترجل عصام من سيارته فوجد أباه وإخوته غارقين في دمائهم، ومن ذلك اليوم لم تستطع الأم الوقوف على قدميها، نظر عصام إلى صديقه متسائلا:

ماذا لوكان الحبل الذي تشده لا يحمل دلوا؟

دخل عصام البيت، فوجد هنية في حالة انهيار، لقد هدد صاحب البيت بطردهم، إن لم يدفعوا الإيجار، طلب منها إعداد الشاي لصديقه وطلب منها أن لا تهتم، ستكون الأمور على ما يرام، هذا ما قاله، بينما قلبه أصبح مثل كرة مثقوبة.

أمام عتبة البيت جلس الصديقان، يتحاوران ويبحثان عن حل، بعض الأطفال يلعبون بكرة محشوة بالورق وأكياس البلاستيك بعد أن عجزوا عن ترقيعها، حياهما الجار وأعطاهما بعض الخبز، ريح خريفية

تعبث بالأوراق المتساقطة من الشجرة الصامدة في الساحة المقابلة للبيت، قرر عصام أن يبيع هاتفه، كما قرر البحث عن عمل آخر خارج دوام الفرن الذي يعمل به.

قال صديقه: أحيانا لسنا بحاجة إلى دلو

نظر عصام إلى صديقه الذي فقد إحدى عينيه في الحرب، مستغربا ومتلعثما في الرد، استرسل صديقه في الكلام:

إنني أرى بوضوح، غالبا ما نحتاج قلوبنا لكي نرى بها.

مازال الأطفال يلعبون، فتاتان مررن على عجل واستحياء كن يثرثرن ويضحكن بصوت خافت، أحد الجيران يحاول إصلاح عجلة ابنه الذي يجلس بقربه وعلى وجهه علامات انشراح، شرب عصام آخر قطرة في كوب الشاي، ثم قال:

طهته هنية بإتقان سأجلب طاسة أخرى

أطلقت هنية رائحة البخور، دخل إلى البيت، فشعر بدفء واطمئنان، سمع شهقة بكاء، فر قلبه من ضلوعه

القلب صلصال

قابل للتشكل

الشكل مذاق

المذاق اكتفاء

ركض نحو الصوت، فوجد الصور متناثرة في الغرفة ووجد هنية قد وضعت الدمى في الدلو وغسلتها بالدموع.

نتوءات عظمية

لماذا سافر عمر؟

لم تكفّ أمه عن طرح هذا السؤال الذي تحول إلى نهر في قلبها؟، كانت تجلس على حافة سريره، وتبكي طيلة الوقت، ولم يفلح الأهل والأطباء في إيقافها عن البكاء.

عمر الطالب الجامعي الذي تفانت في تربيته، ترك البلاد مثل طائر السنونو، حلق بعيدا وقرر ألا يعود .

تقول الحكاية، إن عمر طالب مهووس بالهندسة المعمارية، ظلّ يرسم المباني واحدة تلو الأخرى، حتى تكدست في قلبه.

كان يصف المدينة، بأنها تشبه القنفذ.

وكان يقول أيضا إن المدينة مشرفة على الموت، ظلّ يدق على الأبواب ويصرخ: المدينة ستموت

المدينة ستموت

سخر الجميع منه، لكنه رأى في المباني العشوائية تراكمات كوليسترولية، ولمح في الطرق نتوءات عظمية.

يتذكر بعد أن عبثت الحرب ببنغازي، وحين دخل وسط البلاد كيف سقطت دموعه مثل سماء مجروحة، رأى آثار القذائف الواقعة على حوش الكيخيا[1] وبابه الكبير الذي آثر الصمت، الزاوية الرفاعية[2] التي تحولت إلى صلوات، عمارة السفينة[3] التي تحولت إلى أمواج، قصر المنار[4]

1- حوش الكيخيا " بيت المدينة الثقافي " وهو منزل قديم بني على الطراز العثماني وهو للمرحوم عمر باشا الكيخيا أحد الأثرياء.

2- زاوية بمنطقة وسط البلاد قريبة من بحر الشابي

3- أحد معالم بنغازي، وصممها المهندس نجيب حسين مازق

4- قصر تم بناؤه في عهد الاستعمار الإيطالي في مدينة بنغازي، ليكون مقرا للولاة الإيطاليين .. تعرض المبني كغيره من المباني في المدينة للقصف خلال الحرب العالمية الثانية، وتمت صيانته بعد الاستقلال ليكون مقرا رسمياً للملك في المدينة .. شهد هذا القصر إعلان ملك ليبيا السابق إدريس استقلال البلاد عام 1951 ثم سُلِمَ للجامعة الليبية .. تعرض خلال ثورة فبراير للنهب وحرق بعض أجزائه ثم ازدادت أضراره بعد الحرب.

الذي تحول إلى وديان والمنارة[1] التي لكمها الوجع ولكنها وقفت مثل سارية، كان كلما يشاهد لؤي فوناس[2] يزيح عن قلب بنغازي بعض ثقل الركام، كان يشاهد مختنقا أسمنتيا في قلب مساحاتها الخضراء، وكان يشعر بالقاذورات الملقاة على ضفاف الكورنيش مثل سم بطيء يتسرب إلى دمه، لم يحتمل عمر ذلك، وكان دائما يقول لأمه إن الحياة تشبه الصبة الخرسانية التي حاولوا أن يرمموا بها القشلة3 فسقطت إحدى أذرعه.

بنغازي بيد واحدة يا أمي ويد واحدة لا تصفق.

في فجر يوم عادي، يمر على المدينة شبيه بغيره، تسلل عمر حاملا حقيبته، وقد قرر الهجرة.

1- منارة مقامة بالقرب من ساحل البحر المتوسط فوق مدينة برنيق القديمة وبالقرب من ضريح الوليين سيدي غازي وسيدي خريبيش وهي أبرز مظاهر العهد الإيطالي.

2- شاب كرس وقته وجراره لينظف شوارع منطقة وسط البلاد من ركام الحرب وقد صار اسمه رمزا للوطنية

3- القشلة أو القصر التركي والتي تقع في منطقة البركة بمدينة بنغازي والتي أسسها رشيد باشا حاكم متصرفية بنغازي عام 1895و كلمة قشلة كلمة تركية تعني المكان الذي يمكث فيه الجنود

القوارب رغبات المدينة المكبوتة

القوارب قبل مؤجلة

القوارب علب ألوان

واللوحات قلوب تركت دمها على ضفاف الوطن

تقول القوارب: إنني سيرة الوجع

وتقول الحكاية: إن الأم ظلت تبكي على حافة السرير، تسأل «لماذا سافر ابنها؟»،

وإن السؤال تحول إلى نهر

و إن الغرفة تحولت إلى غابة

تقول بنغازي إن في جوفها نهر[1]، يجري منذ الأزل، على الأرواح أن تمر به بعد الموت لتتطهر وتنسى آلامها.

1- نهر الليثون و هو نهر مرتبط بأساطير اغريقية

قفص فارغ

كيف خطر بباله أن يخرج اليوم على التيك توك، أي فكرة دست سمها في عقله، ها هو يستلقي على الفراش ويغني:

كيف ايصير تطلق طير وتجري تحته

طير وتجري تحته

تطلق طير وتجري تحته

طير وتجري تحته

وأنت اللي بيدك ريحته»

اختلطت المشاعر في داخله بين بكاء، قلق وضحك متواصل.

سمع قهقهات عالية خارج غرفته، ارتبك ورجع إلى الفيديو، كان يحرك حاجبيه وأحيانا يهز كتفيه وهو

يغني .

اتصل به صديقه، فلم يرد على الاتصال، وأقفل هاتفه على الفور، فتح باب غرفته بهدوء، كانت أختاه تشاهدان فيلم كوميدي في الصالون، ذهب إلى غرفة المعيشة، وجد أمه تمسك مسبحتها وتستغفر، وضع رأسه على فخذها ونام .

خرجت أخته من الصالون، طرقت باب غرفته، فلم تجده، نادته بصوت عال وذهبت تبحث عنه، قالت أمه حينما انتفض فجأة عند سماع اسمه:

فجعتِ خوك

فقالت:

اتصل به عمي ليذكره بموعد .

انتفض مرة أخرى، فقد انتبه أن لديه موعدا من أجل وظيفة.

عند خروجه إلى الشارع، راقب جيرانه بارتباك، ولم يلاحظ أي ردة فعل على الفيديو، ثم فاجأته ضحكة هستيرية، كتمها حين انتبه أن بعض العالقين معه في الزحام المروري، قد لفت انتباههم ضَحِكه، وراودته

فكرة أن يراقب تعابير وجوه الناس وحركاتهم.

في السيارة التي علي يمينه شاب ثلاثيني، قمحي البشرة، يرتدي نظارة ماركة riban، من الذين يشعرونك أنهم ينامون بنظاراتهم، وأنه يطيل رش مزيل العرق brut على كامل جسده، نظر إلى حاجبيه المعقودين، وتخيل أنه يغني:

أنا مو ولهان أنا

مو ولهان أنا

أنا دنيا من الوله

محتاجك ابيك

لمح في السيارة التي خلفها زوجين، تبدو علامات شجار دائر بينهما، كانت الزوجة توجه رأسها نحو النافذة بتكشيرة غائمة، بينما كانت شفتا الزوج تتحركان مثل طاحونة، تخيل الزوج يغني:

أخاصمك آآآآآه

أسيبك لاااااا

وجوا الروح حتفضل حبيبي

اللي أنا باهواااااه

ثم ضحك كثيرا، إلى أن انتبه إلى أبواق السيارات تنبهه إلى الإشارة الخضراء.

حين وصل إلى مبنى الشركة، ازداد اضطرابه، رتب هندامه، صفف شعره ورش زيتا عطريا، دخل إلى المكتب فقابلته موظفة الاستقبال، لتوصله إلى قاعة مزدحمة بمقدمي طلبات الوظيفة، وما كاد أن يجلس على الكرسي حتى انتبه إلى قفص عصفور، أحس بمغص في معدته وتصبب العرق من جسده، وصارت الأصوات التي حوله مثل قطار دهس قلبه.

نظر إلى ارتباك الجميع، فتاة كانت تطقطق أصابعها وتحرك شفتيها، تبدو أنها تردد الأذكار، شابان يتحدثان عن حاجتهما للوظيفة، ومحبطان بسبب طغيان الوساطة في المؤسسات، شاب آخر يرتدي قميصا باهت الألوان وثمة ثقب في أعلى الكتف، كان صامتا وثابتا، لم يتفاعل مع أحد وبالكاد يحرك رأسه، حاول أن يتخيل أنه يغني، فلم يُجد الأمر، تخيل أن كل الأغاني أصبحت عاطلة عن الرقص، وأن جثمان الحياة مسجى بقميصه، راودته العديد من الهلوسات، غراب

تسلل من المكتب، السكرتيرة ذات الخصر المتناهي في الصغر تحولت إلى عصا الساحرة، فيديو التيك توك خاصته أصبح برنامج هكر.

حدق في القفص، ورأى الطير يرفرف بجناحيه ضاربا إياها في أعمدة القفص، أحس بانقباض، ذهب إلى القفص وفتح بابه، حدثت ضجة، حلق الطير في أرجاء الصالة مرتبكا وباحثا عن منفذ، صرخ بعضهم وركض بعضهم الآخر لالتقاط العصفور.

في هذا المساء انتشر فيديو على صفحات التواصل الاجتماعي لشاب يجلس تحت قفص خالٍ وهو يغني:

كيف ايصير تطلق طير

وتجري تحته.

ملوحة

أخرج أفكاره من رأسه، وخبأها في خزانته، لكن عند خروجه من البيت، امتلأ رأسه مرة أخرى بالأفكار، فرجع ووضعها في الخزانة، كان كلما يقرأ كتابا، يشاهد التلفاز أو يتحدث مع أقرانه، تمتلئ رأسه بالأفكار، فيضطر لفتحه وإخراجها.

بعد عدة أيام واجه صعوبة في حفظها، فقد تكدست، حتى كادت أن تخرج من الخزانة، وقرر ألا يفكر، ولكن حالته ازدادت صعوبة، فأصبح كلما يفتح فاهاً تخرج فكرة.

لذا امتنع عن الكلام

انتبه أن يديه ازدادت حركتها معبرة عن غضب كامن داخله، تارة يلوح وتارة يصفع وجهه، وكثيرا ما يضرب باليمنى على رسغ اليسرى، وازدادت حركة

الإصبع الأوسط، فارتبك وقرر أيضا ألا يتحرك.

بعد فترة من الزمن، أصبح تمثالا لا تتذكره سوى أمه وبعض المقربين، كانت أمه تدهنه بدموعها، ومع الوقت لفته بردائها الأبيض، ثم ركنه إخوته في غرفة الخزين.

بعد قرن أو يزيد، دخلت المنطقة ضمن مخطط تجاري، وحين قام العمال بجمع ركام البيوت المحطمة في المنطقة المهجورة، وجد أحدهم تمثالا، خبأه ثم نقله إلى بيته.

في البيت جلس الرجل أمامه ظانا أنه تمثال، شهقت زوجته حين رأته وظلا وقتا طويلا يبحثان عن تاريخ التماثيل، قالت الزوجة:

كيف توجد تماثيل هنا ؟ لقد اختفت جميعها، فمنذ عشرون عاما أعلنت مصلحة الآثار عن فقدانها لكل الآثار بسبب التهريب وثم بسبب حملات التكفير.

قال زوجها: ماذا سيحدث لو وُجِد عندنا؟

صمتت زوجته برهة، ثم سألت:

ألا تعتقد أنهم سيكفروننا؟

وضحكت بصوت عال مرة أخرى، فقفز نحوها وأغلق فمها بينما كانت تقول:

سيكفروننا ويخونوننا وسيقولون أننا مندسون لنشر الفوضى.

اصمتي، قلت لك اصمتي.

لـ مـ ا ذ ا أ صـ مـ ت ؟

لـ أ نـ ه يـ جـ ب عـ لـ يـ نـ ا ذلـ ك.

في الليل لم ينم الزوجان، فقد راودتهما الأفكار وطحنتهما الأسئلة، لم يتحدثا ولم يوشوشا وانكمش كل منهما داخل جسده حتى التصقت أطرافهما، وفي الغرفة المجاورة حيث أجلساه، شعر التمثال بالبرد بعد نزع غطائه، دبت قشعريرة في جسده وسكب دموعه بغزارة.

في الحكايات ثمة بحر ابتلع المدينة.

وفي الصمت ثمة أسماك وحيتان وشِباك وقوارب وملوحة.

لعنة الطريق السريع

كان سعد يدخن الأرجيلة، ويشرب (طاسة شاهي مرة في مقهى الكيش) وفي الساحة التي بجانبه بعض الشباب يتسابقون في سياراتهم بحركة دائرية مع الضغط على الفرامل، وقريبا منهم اجتمع بعض المعلمين يناقشون اعتصامهم من أجل مطالبتهم بزيادة رواتبهم، بينما على جانب الطريق تمشي فتاة في ارتباك شديد وهي تحاول الابتعاد عن مشاكسات بعض الشباب الجالسين عند ناصية الشارع، وحينما كان يقرأ منشورات النساء في مجموعة حلوات بنغازي على صفحة الفيس بوك التي دخلها باسم مستعار، وقد كان يضع "لايك" تارة ويعلق تارة وهو يقهقه بصوت عال، سمع صديقيه الجالسين بقربه يقولان:

الطريق السريع التهم الناس مثل الحرب تماما

الطريق السريع مسحور

فقال وهو يتساءل:

كيف تحول شارع البط الذي كانت تتمايل فيه أجساد النساء السمينات جيئة وذهابا إلى طريق ذهاب لا رجعة فيه ؟

نظر إليه صديقاه وهو يحك خده بظفر خنصره الطويل، وقال أحدهما:

لا تشبع من النساء

فرد:

وهل هناك في الدنيا أجمل من النساء؟

يستلقي الطريق السريع على الدائري الثالث ليكوّن أحد عروق الحياة في بنغازي التي تتربع على البحر المتوسط في جلسة نصف دائرية كغمضة عين حالمة، هذا الطريق الذي يصل بين البحر والبحر صار أشبه بالدوامات البحرية.

كانت الفتاة تمشي بمحاذاة الطريق لأن الرصيف مغلق بسبب تكدس القمامة وبعض مواد البناء لأحد البيوت، دخلت إلى شارع فرعي حيث يقع بيتهم في آخره وزادت خطوتها بينما ازداد اضطراب قلبها، كانت

تتلفت يمينا وشمالا في ارتباك شديد، انتبه إليها أخوها الذي كان يجلس في محل الهواتف القريب من بيتهم فركض نحوها وشتمها، بينما ازداد ارتباكها وسرعة خطواتها، وحين وصلا إلى البيت شدها من "إشاربْها" حتى سقط ثم خلب أصابعه في شعرها وظل يركلها، ولم تستطع أمها مساعدتها أو فكاكها منه.

ذهبت هدى إلى رحلة جامعية آملة ألا ينتبه إليها إخوتها بعد أن وافقت أمها التي لا حول لها ولا قوة، لكن الصور على الفيس بوك انتشرت مثل انتشار النار في الهشيم، ظهرت هدى وهي تجلس في تجمع دائري ينتصفه شاب يعزف الجيتار، كما ظهرت في صورة أخرى وهي تضع إحدى أطباق الفطور على الطاولة، قالت لها أختها بعد دوامة الضرب التي تركت أثرها على أغلب جسدها:

من أين لك الجرأة بالذهاب؟

لا أملك شيئا أفقده

الجامعة يا غبية الجامعة

كانت هدى تتحسس الكدمات وتغالبها دموعها،

وقالت:

قرار واحد أتخذه بنفسي.

أن تتخذ قرارا هو أن تتحمل مسؤوليته ولكن كيف يصبح للآخرين الحق في اتخاذ القرارات بدلا عنك، فبعض القرارات تشبه دخول الطريق السريع، حيث يصبح السائق تحت رحمة السرعة المتهورة، الاجتيازات غير المدروسة والوقوف المفاجئ غالبا للدخول إلى جوانب الطريق عبر منحدرات أسمنتية من صنع المواطنين.

حين كان سعد يبعث صورة فتاة ذات نهدين بارزين مستلقية على سرير ومرتدية فستانا بفتحة على أحد جانبيه؛ إلى أحد الشباب واعدا إياه بلقاء حميمي قريب بينما كانت ضحكته تهتز في صدره مثل صوت فرامل السيارات عند الاختناقات المرورية في السريع، جلس بقربه أخوه ليخبره عما فعلته هدى .

كانت الشمس في موعدها مع البحر فتوردت خجلا في إضاءة حمراء بهية، ومدت أطرافها لتتشابك مع بنغازي ولعبتا "فتّحي يا وردة سكّري يا وردة" بعض الفتيات كنّ يلعبن في حلقات من هنا كيس مليان

دبابيس .. من هنا شعري نازل على ظهري، مازال الشباب يدورون بسياراتهم، مازالت أسئلة الناس تدور حول لعنة الطريق السريع، تأخر السيولة، إضراب المعلمين، السلع المضروبة والمطعم الذي يبيع لحم الحمير.

دفع سعد الحساب وخرج غاضبا بينما الشاب الذي وعده باللقاء ظلّ يبعث صورا له في أوضاع شهوانية تتقافز على شاشة الهاتف دائرة تلو الأخرى، وبينما الصداع كان يتراءى في عيني هدى على هيئة دوائر إثر اهتزازها بشكل عنيف، فمدت جسدها على السرير وتركت نفسها تنساب في غمضة عين حالمة.

اهتزازات روح

يذكر الكِتاب أنه يجب أن تكون الغرفة مظلمة وأن ثلاث شمعات يجب أن توضع في منتصف الطاولة الدائرية، كما علينا ترك فناجين قهوة مقلوبة مع ورق أبيض، لا أعرف كيف تجرأت على فعل ذلك لكن الرغبة في أن أتحدث مع أخي هي التي جعلتني أقوم بهذا الفعل.

الظلام حالك وأنا لا أرى سوى الشموع، الفنجان، الورق الأبيض، قلم الحبر ويدي مع الظلال، كان صوت خفقات قلبي يشبه الطبل الأفريقي، شعرت وأنا أردد الطلاسم التي ذكرها الكتاب وعند قولي كلمة روح بأن هناك أناسا تنغم بأصوات فمية تشبه أصوات الحيوانات، بل إن المكان تحول إلى دغل، ولا شيء ظلّ منطقيا في هذه الغرفة العلوية القابعة في السطح، فتارة أسمع نهيم فيلة وخنخنة قردة وتارة يعوي ذئب

في حلقي، خشيت حتى من نفسي وأغمضت عيني فترة من الوقت.

حين فقدت أخي شعرت بحزن شديد رغم العلاقة المعقدة التي تجمعني به، كنت أشبهه بقطة أمي التي تدللها أكثر مني، فهل الحب هو سبب حزني أم الفقد؟، وهل الفقد هو فقد أخ أم فقد ملكية كانت تخصني؟ في كثير من الأوقات أسمع ضحكة تعلو فتعلو حتى تهز كامل جسدي، فأنا الشاب المدلل الآن، أصبح بإمكاني أن أحتل قلب أمي بكامله، وأطلب منها ما أشاء عازفا على جراحها برغباتي الوحشية، فها هو قد غادرنا الشخص الذي كان يقاسمني كل طلباتي بل كان يعطيني الفتات.

في الظلام لم أعرف من يلتف حولي ؟ ومن أين أسمع الأصوات؟ وفي أي بقعة أنا؟ شعرت بلفحة برد، أحسست وكأنني سنجاب سيبيري التففتُ حول نفسي وأطفأت عداداتي آخذا قسطا من التمعن، لكن الخوف لم يتركني وزحف نحوي مثل ثعلب ماكر.

فتحت عينيّ ونظرت حولي، كل شيء في مكانه ولكنني انتفضت فجأة حين انتبهت إلى بعض

الخربشات على الورقة البيضاء، كانت كلمة روح مكتوبة بخط مرتعش، لم أستطع الحراك وحاولت إقناع نفسي بأنني من كتبها في لحظة لاوعي، ولكنني شعرت بهواء دافئ وكأن نفس أحدهم يلفح رقبتي، صفعت رقبتي بكلتا يديّ ثم مسحت على كامل جسدي، وأنا أردد: يا الله يا الله.

لم أخبر أحدا عن العلاقة المعقدة التي تربطني بأخي فبعض المشاعر تجعلك عاريا أمام الآخرين، ولا أعرف من حدد التفاصيل التي تجعلك تقر بالحب علانية ولا تستطيع أن تقر بالكره ؟ من منح للحب قدسيته وترك الكره مثل كلب أجرب ؟ ألا تتساوى المشاعر، ألا يحق للكره أن يقول ها أنا ؟ إنني أشفق عليه لأنه يشبهني تماما، فها هم يدللون الحب ويقيمون له الأعياد بينما يتأففون من الكره كما يتأففون من فضلاتهم، أنا أقر أنني كنت أكره أخي، فهو الذي سرق مني عطف أمي؛ بسبب مرضه كما تقول، ولكنها لم تدرك أنني كنت مريضا بالغيرة وبالعوز العاطفي .

ما زلت مرتبكا وغير قادر على الحراك، أحاول أن أبث في داخلي الطمأنينة؛ غير أنني فاقد للسيطرة على نفسي، الهواجس لا تفارقني، لا بل هي الحقائق،

أنا هنا وسط الجنون والعفاريت، لقد حضروا حينما سمعوا ندائي، لا أحد سينقذني الآن، من بإمكانه إنقاذك إذا لم تترك لك أثرا عنده؟ أنا كائن شفاف لا يمكن لأحد الانتباه إلى وجودي، فكيف حضروا الآن، نعم كيف حضروا .. يا الله يا الله.

يا معشر الجن أناشدكم بالعهد الذي أخذه عليكم سليمان بن داود ألا تبدوا لنا ولا تؤذونا

ما هو شكل الأذى ؟ ماذا لو امتلأت الغرفة بهم، وهل حضرت الأرواح أم أن محاولتي فاشلة ؟ من بجانبي الآن ؟ ولماذا أنا خائف منهم ؟ كيف لي أن أحكم على أفعالهم دون أن يظهروا ؟

صرخت بأعلى صوتي، وأنا أتلقى ضربة تلو الأخرى، لم أجد أي رحمة، صفعات تلتها ركلات، وبعد أن هدأ غضب أمي احتضنتني وبكت، كنت أحاول أن أقول لها بأنني اشتهيت قطعة الحلوى، لكن صراخ أخي لم يفسح لها مجالا لتصرف آخر غير ضربي، ظلت تذكرني بأنني أبكيته في الصباح حين حطمت سيارته والآن أسلب منه قطعة الحلوى خاصته، صرخت بصوت عال:

لم أقصد تحطيمها

لقد وقعتُ دون قصد مني .

انتفضت فجأة وأنا انظر إلى الكرسي الذي وقع بجانبي، من حرك الكرسي؟ علا صوت قلبي الطبل، إنها الإشارة ولحظة البدء، يجب أن أعترف أن هناك كائنات بقربي، كلمة روح على الورقة البيضاء ثم سقوط الكرسي، فما هي ردة الفعل التي سأتصرفها ؟ كيف نحدد أفعالنا ونتحكم بها ؟ أخذت نفسا عميقا وأنا أنظر يميني وشمالي ولم يكن هناك أي حركة غريبة، هل أنا وحدي ؟

هل

أنا

وحدي

؟

؟

؟

كم أشعر بالخيبة !!!

تعالي أيتها الأرواح أنا بحاجة إليك

تعال يا أخي

لقد اعتدت وجودك

ربما

سأقول

لك

إنني

أحبك.

الفهرس

الشجرة العتيقة 009
دوائر مغلقة 031
في وقت الأعياد 047
قفزة ديكارتية 057
حلم عارٍ 065
الوقوف على رجل واحدة 069
قناع سلطة الحمص بالزبادي 075
خذا سوك 083
ذاكرة مفقودة 089
صلصال 095
نتوءات عظمية 103
قفص فارغ 107
ملوحة 113
لعنة الطريق السريع 117
اهتزازات روح 123

- رحاب عثمان شنيب

- من مواليد 8 يوليو 1974 م

- درست علم الصيدلة بجامعة بنغازي (العرب الطبية سابقا)

- تكتب الشعر والقصة

- صدر لها:

1 - الفستان الأبيض « قصص قصيرة « عن مجلس الثقافة العام سنة 2006

2 - سكّرة الحياة « قصائد « عن وزارة الثقافة والإعلام سنة 2008

3 - انكسار الضوء " قصص قصيرة " عن وزارة الثقافة والإعلام سنة 2013

4 - النزف قلقا " قصائد " عن وزارة الثقافة والإعلام سنة 2013

5 - العالم ذبابة حطت على أنفها " مجموعة

قصصية " عن المكتبة العربية للنشر والتوزيع 2018

6 - منذ ذلك الحين وأنا قطيع ذئاب " قصائد" عن دار البيان للنشر والتوزيع 2019

- نشرت نتاجها في عديد الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية .

- أعدت وقدمت عديد البرامج المسموعة المحلية.

- شاركت في تنظيم عديد الأنشطة الثقافية.

medadrehab@yahoo.com

medadrehab@gmail.com

rehabshenib.rehabshenib@facebook.com

00218925478590